التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية
دراسة ونقد

إعداد
يسرى أحمد اليبرودي

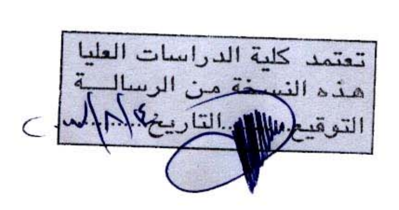
المشرف
الأستاذ الدكتور مصطفى ابراهيم المشني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية



آب، ٢٠٠٧م

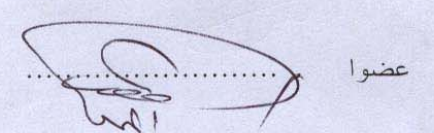


ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/ الأطروحة (التفسير وموضـوعاته فـي دائـرة المعـارف الإسلامية دراسة ونقد) وأجيزت بتاريخ 2 /8 /2007م.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور مصطفى ابراهيم المشني أستاذ تفسير – أصول الدين	مشرفا	....
الدكتور محمد خازر المجالي أستاذ تفسير – أصول الدين	عضوا	....
الدكتور أحمد اسماعيل نوفل أستاذ مشارك تفسير – أصول الدين	عضوا	....
الدكتور أمين محمد المناسية أستاذ مشارك – تفسير (جامعة مؤتة)	عضوا	....



إهداء وشكر

إلى

زوجي الحبيب الذي كان لي خير معين وخير داعم في إتمام هذا البحث

إلى

كل من أحب الحق ودافع عن حياض هذا الدين بما استطاع إلى ذلك سبيلا

إلى

أستاذي ووالدي المخلص المشرف على هذه الرسالة أ. د. مصطفى المشني الذي كان له الفضل الأكبر في إتمام هذه الرسالة. مهما خط القلم من كلمات ما أراني أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر والعرفان على ما قدمه لي من عون ونصح وإرشاد في سبيل إخراج هذه الرسالة على أتقن حال.

إلى كل من كانت له يد من كلمة أو دعاء أو أعانني على إتمامها فجزاهم ا جميعاً خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

الفهرس

إهداء و شكر .... ج

الفهرس .... د

الملخص .... ز

المقدمة ١

المبحث التمهيدي: المستشرقون والقرآن ٧

أولاً: مفهوم الاستشراق وتاريخه ٧

ثانياً: دوافع الاستشراق وأهداف المستشرقين ٩

ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى القرآن وتفسيره ١٣

الفصل الأول

التفسير ومصادره في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول : التفسير ومتعلقاته ١٥

تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما ١٥

أنواع التفسير ٢٤

شروط التفسير والمفسر ٢٨

المبحث الثاني: التفسير التحليلي ومصادره من خلال السور ٣٢

- لفظ " سورة " معناه ودلالته ٣٢

١. سورة الفاتحة ٤٥

٢. سورة التوبة ٤٨

٣. سورة الإسراء ٥٠

٤. سورة المسد ٦٥

٥. سورة الإخلاص ٧٠

المبحث الثالث: من خلال ألفاظ وردت في الآيات وهي ٧١

١.السلام ٧١

٢. السنة ٧٤

٣. الأمة ٧٥

٤. إرم ذات العماد ٧٨

٥. البينة ٨٠

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي في دائرة المعارف من خلال الآيات

المبحث الأول: الآيات فيما يخص العقيدة من خلال الألفاظ التالية: ٨٢

١. ا ٨٢

٢. إبراهيم عليه السلام.. ٨٤

٣. جبريل عليه السلام ٨٩

٤. التوراة.. ٩٠

٥. التحريف ٩١

٦. الجنة.. ٩٣

٧. الجن ٩٦

٨. جهنم.. ٩٨

المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام.. ١٠١

١. الصلاة ١٠١

٢. الصوم... ١٠٢

٣. الجزية... ١٠٣

الفصل الثالث

القصص القرآني ومنهج البحث في التفسير في الدائرة

المبحث الأول:.. ١٠٦

١. قصة سيدنا آدم عله السلام ١٠٦

٢. قصة سيدنا داود عليه السلام ١١٣

٣. قصة أصحاب الكهف ١٢١

٤. ذو الكفل ١٢٩

٥. أصحاب الأخدود ١٣١

٦. أصحاب الرس ١٣٤

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير ١٣٥

الخاتمة: ١٣٩

المصادر والمراجع.. ١٤١

الملخص باللغة الانجليزية.. ١٤٨

التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية

دراسة ونقد

اعداد

يسرى أحمد اليبرودي

المشرف

الأستاذ الدكتور مصطفى ابراهيم المشني

الملخص

الحمد   رب العالمين الذي بفضله تتم الصالحات وتكتمل الأعمال الخيرات ويعم خيـره على جميع المخلوقات انسا إجناً وأرضاً وسماوات .. وبكرمه وفضله قد أنهيت عملي هـذا ولا أدعي فيه الكمال ولا التمام بل وصف كامل بالنقصان ولكني في هذه الورقة سأذكر ما خلـصت اليه في هذه الرسالة.

فقد مهدت في رسالتي هذه عن معنى التفسير والتأويل في الدائرة والفرق بينهما وأوردت ما فيها من أخطاء وشبهةً وعرجت على مواضيع تفصيلية في التفسير التحليلـي والموضـوعي والقصص القرآني وناقشت الدائرة في ذكرها لبعض السور.

وتوصلت إلى معلومات مهمة مذكورة في بابها في هذه الرسالة ثم عرفت القارئ الكـريم ان هذه الدائرة فيها من الأخطاء سواء في جمع المعلومات وأسلوب البحث وتعصبهم الواضـح لديانتهم ودولهم ومبادئهم لدرجة أنهم يطعنون في صحة كتبهم مقابل أن يضعفوا ما ورد فيها من أخبار صحيحة تثبت ما جاء به الرسول الكريم (ﷺ).

فلا بد لكل من أراد أن يقرأ بمثل هذه الدائرة أن يكون واعيا لما فيها من أخطاء وشبهات وتعصب واضح وأن يكون مثقفاً ليميز الخبيث من الطيب.

هذا ما أردت أن أرسله إلى القارئ الكريم في هذه الرسالة وارجو من ا   جل وعـلا أن أكون قد قدمت لهذا الدين شيئا يحفظ عنده ولا يضيع.

والحمد   رب العالمين...

بسم ا الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ﷺ) ومن سار علـى نهجه واهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد...

فلقد انزل ا القرآن العظيم هدى للناس ورحمـة للعـالمين: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١)

هذا الكتاب الحق المبين

الحق في مصدره. الحق في أحكامه وتشريعاته...الحق في كل ما جاء به، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم إن المكانة العظيمة والأهمية البالغة التي يتبوأها هذا الكتاب العظيم، جعلته محط أنظار العلماء من مسلمين وغيرهم، سواء كانوا محبين مخلصين أم أصحاب أهواء أعداء ومستشرقين ولقد عكف العلماء على دراسة هذا القرآن وكثرت فيه المصنفات والمؤلفات ومنها:

الدراسات الاستشراقية حيث كانت مشتملة على فوائد ومخاطر في آن واحد، وخطورتهـا تتمثل في أنها معروضة أمام الدارسين والباحثين من المسلمين وغير المسلمين عرضا منهجيـا يغري بالتعامل معها، وهذا وضع يستلزم أن تقوم جهود دراسية بحثية من قبـل المتخصـصين المخلصين تضع هذه الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم في موضع العرض النقدي الذي يظهـر مظآن الفائدة منها ويدفع عنها وينبه إلى الأغاليط والأخطاء التي وردت فيها ويحذر منها[1]، وقد وقع اختياري من هذه الدراسات على ما يعرف بدائرة المعارف الإسلامية، حيث يوجد فيها كثير من الدقائق والقضايا المتعلقة بالتفسير كانت جديرة بالنظر والبحث والدراسة الدقيقة التي تقـوم على منهجية واضحة تتسم بالأمانة والموضوعية، خاصة وان هذه الموسوعة كانت من تـأليف مجموعة من المستشرقين

وهذه الموسوعة تتألف من ١٦ جزء مترجم للغة العربية وهي التي اعتمدت عليها في هذه

---

(١) القرآن الكريم ، دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، ص١٠ وما بعدها.

الرسالة.

ودراستي هذه تتناول التفسير وما يتعلق به في هذه الدائرة من حيث الوقوف على قواعـد وأصول التفسير عندنا أم لا، ثم بيان الغايات والأهداف التي تتناول الآيات والتفسير في ضوئها. ولعلي أقف على تلك المقاصد والأهداف بعد الدراسة والتحليل والنقد.

ومدى موافقتها أو مخالفتها، ثم ما المنهجية المتبعة لدى هؤلاء في طـرحهم وتعرضـهم لقضايا التفسير وموضوعاته.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

المشكلة الاولى: انها أول دراسة موسعة ناقدة للتفسير في دائرة المعارف.

المشكلة الثانية: اعتماد الدراسة بشكل أساسي على النقد وهو أصعب شيء في أي دراسة

المشكلة الثالثة: قلة المصادر والمراجع التي تخص هذا الموضوع.

أما أهميتها:

إن ثمة أسئلة ستجيب عنها هذه الدراسة أجملها بما يلي:

أولاً: ما هي الأسس والمعايير التي تتم من خلالها دراسة التفسير وموضوعاته في دائـرة المعارف؟ لم يكن لديهم أسس ومعايير واضحة يرتكزونعليها إنما كان مرجعهم في كتاباتهم ما ما يناسب أهدافهم ومعتقداتهم سواء كان صحيحاً أم باطلاً.

ثانياً: ما مدى موافقة هذه الأسس والمعايير للمنهجية الإسلامية في التعامل مع نـصوص القرآن الكريم وهل تتفق والأصول المعتمدة عندنا كمسلمين وباحثين متخصصين؟

ثالثاً: ما هي الإيجابيات والسلبيات لهذا الجهد المبذول في دراسـة التفـسير فـي دائـرة المعارف في ضوء النقد والتحليل الموضوعي العلمي؟

إيجابيات: المعلومات المنصفة التي يقدمونها إن كان يوجد إيجابية فهي أنهم مـن خـلال كتاباتهم هذه أفصحوا عن غاياتهم بالقرئ فيها أن يكون حذرا فطناً أثناء قراءته

الدراسات السابقة:

ولدى البحث والتنقيب عن دراسات ذات صلة بهذا الموضوع لم اعثر إلا على ثلاثة كتب:

١ - كتاب صغير نشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيـسكو) بعنـوان:

(القرآن الكريم دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية) وقد قسم هـذا الكتاب إلى فصل تمهيدي، تحدث فيها عن الادعاءات الواردة في الموسوعة حول علوم القرآن منها: الادعاء ببشرية القرآن، وجمع القرآن، والنص القرآني.

٢ - كتاب العقيدة الذي أعدته المنظمة أيضا، وقد جاء فه الحديث عن: الألوهية ومعنى لفظ ا ، ومحمد والقرآن، والسجع في القرآن، وقد تناولت هاتان الدراستان – كما نلحـظ – دراسة ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، فيما يخص علوم القـرآن ولـم تتعـرض لموضوعات التفسير كما سنلحظ في هذه الدراسة، إضافة إلى أن هذه الدراسـة كانـت مختصرة جداً حيث لم تكن الردود كافية تلم بالمسالة من جميع جوانبها، ولم تكن شـاملة لكل ما ورد في الدائرة من أخطاء.

٣ - كتاب: القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي دراسة نقدية تحليلية: للدكتور محمـد أبو ليلى، وقد شملت هذه الدراسة كل ما يتعلق بعلوم القرآن – كما جاءت فـي دائـرة المعارف الإسلامية موضوع البحث – دراسة ناقدة مميزة حيث ألمت بالمسالة من جميع جوانبها، وردت الشبهات الواردة حولها رداً علمياً دقيقاً، حيث قسم هذا الكتاب إلى تسعة أبواب ضمت الموضوعات التالية: القرآن.. الأصل والمترادفات، محمد والقران، جمـع القرآن، بنية القرآن، الحوادث والمناسبات التاريخية في القرآن، لغة القـرآن وأسـلوبه، الأشكال الأدبية والموضوعات الرئيسة للقرآن ، القرآن في حياة المـسلمين وفكـرهم، ترجمة القرآن. إلا أن هذه الدراسة رغم عظم الجهد المبذول فيها لـم تتنـاول التفـسير وموضوعاته، والذي سيقتصر موضوع هذه الدراسة حوله، ثم انه ثمة ملحظ آخر وهـو سبب تسمية الكتاب بهذا العنوان، والذي يبدو لأن دائرة المعارف الإسلامية كانت مـن تأليف مجموعة من المستشرقين، وا اعلم.

٤ - كتاب: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية " نقد مطاعن، ورد شبهات ": للـدكتور الفاضل: فضل حسن عباس، وقد كانت هذه الدراسة فيما يخص بعـض الموضـوعات المتعلقة بعلوم القرآن في الموسوعة البريطانية وليست الإسلامية مدار بحثنا.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحث تمهيدي وثلاثة فصول:

المبحث التمهيدي:

المستشرقون والقران

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

أولاً : مفهوم الاستشراق وتاريخه.

ثانياً : دوافع الاستشراق وأهداف المستشرقين.

ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى القرآن وتفسيره.

الفصل الأول / التفسير ومصادره في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول : التفسير ومتعلقاته:

تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما

شروط التفسير والمفسر

أنواع التفسير

المبحث الثاني: التفسير التحليلي ومصادره من خلال السور في الدائرة

- لفظ " سورة " معناه ودلالته

1. سورة الفاتحة.
2. سورة التوبة.
3. سورة الإسراء.
4. سورة المسد.
5. سورة الإخلاص.

المبحث الثالث: من خلال ألفاظ وردت في الآيات وهي:

1. السلام.
2. السنة.
3. الأمة.
4. إرم ذات العماد.

٥. البينة.

الفصل الثاني:

التفسير الموضوعي في دائرة المعارف من خلال الآيات:

المبحث الأول : الآيات فيما يخص العقيدة من خلال الألفاظ التالية:

ا .

١. إبراهيم عليه السلام.

٢. جبريل عليه السلام.

٣. التوراة.

٤. التحريف.

٤. الجنة.

٥. الجن.

٦. جهنم.

المبحث الثاني: تفسير ألفاظ وردت في آيات الأحكام:

١. الصلاة.

٢. الصوم.

٣. الجزية.

الفصل الثالث:

القصص القرآني ومنهج البحث في التفسير في الدائرة:

المبحث الأول : القصص القرآني:

١. قصة سيدنا آدم عليه السلام.

٢. قصة سيدنا داود عليه السلام.

٣. قصة أصحاب الكهف.

٤. ذو الكفل.

5. أصحاب الأخدود.
6. أصحاب الرس.

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير..

الخاتمة:

وتتضمن القيمة العلمية للتفسير في دائرة المعارف..

المبحث التمهيدي

أولاً: مفهوم الاستشراق وتاريخه:

١ – مفهوم الاستشراق:

الاستشراق لغة: لم يرد في المعاجم اللغوية وجود لهذه الكلمة، ذلك أن هذه الكلمة ليست عربية أصيلة، بل هي مولدة عصرية أكدت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة، بقولها: "استشراق: أي طلب علوم الشرق ولغاتهم، يقال: لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة "..[١]

أما الاستشراق اصطلاحاً: فلقد كثرت التعريفات العربية والغربية حول مفهوم الاستشراق، وكلها متقاربة من (بعضها البعض)، ولا بد من تعريف جامع مانع لحقيقة الاستشراق ومفهومه، والتعريف الذي أراه مناسبا، هو:

" أن الاستشراق هو دراسات " أكاديمية " يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب[٢]. للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، أو شريعة، أو ثقافة، أو حضارة، أو تاريخاً ونظماً وثروات وإمكانيات.بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين خاصة، والناس عامة، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[٣]

٢ - تاريخ الاستشراق:

اختلف العلماء العرب والغرب في تحديد تاريخ بداية الاستشراق بالضبط، وفي ذلك يقول د. مصطفى السباعي:" لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على أيدي علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي جربرت (jerbert) الذي أنتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم (١٠٩٢ – ١١٥٦) وجيرادي

(١) متن اللغة ج ٣ / ص ٣١٠
(٢) عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ص ١٨
(٣) رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد غراب ص ٧

كريمون (giradykrimon) (١١١٤ – ١١٨٧)[١].

وبعد الاطلاع على أقوال الباحثين العرب في تحديد تاريخ الاستشراق يبـدو أن أقـوالهم تتقارب من بعضها، فهي تشير إلى أن الاستشراق بدأ في وقت مبكر قبل الحـروب الـصليبية، ولكنه نما وترعرع وأصبح علماً قائماً بذاته في منتصف القرن التاسع عشر، وأن بواعثه العداء، الذي أحدثه الصراع الصليبي بين الفرنجة والمسلمين وما سبق الحروب الصليبية من فتوحـات إسلامية أثارت أحقاد الأوروبيين على الإسلام..[٢].

أما علماء الغرب فلقد كانت أقوالهم في تحديد تاريخ الاستشراق الرسمي غالبا مـا بـين القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر. وفي ذلك يقول أحمد غراب: " فقـد بـدأ الاستـشراق وجوده الرسمي في أوروبا بقرار المجلس الكنسي في فيينا سـنة ١٣١٢ م، بتأسـيس كراسـي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، لا سيما اللغة العربية والعبرية والـسورياشية، وكـذلك اللغـة اليونانية (باعتبارها لغة التراث اليوناني من جهة واللغة التي ترجم إليها الكتاب المقدس من جهة أخرى) في الجامعات الأوروبية الرئيسية، وبخاصة جامعـات بـاريس و اكـسفورد وبولونيـا وسلامنكا [٣]

بعد ذلك يمكن القول: " أن تاريخ العداء بين الإسلام والمسلمين - بصفة خاصة والعـرب بصفة عامة - وبين المستشرقين قديم منذ بذور ظهور الإسلام وانتشاره وامتداد نوره في كـل مكان وفي كل زمان، فالحرب سجال بين الإيمان والكفر والإلحاد، ولكن الدائرة والهزيمة هـي على الكفر والباطل ولو بعد حين، وصدق ا إذ يقـول: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ الرعد:١٧.

ثم انه لا يهم المسلم متى ظهر الاستشراق أو المستشرق، وإنما المهم متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ومتى بدأ التركيز على الحضارة الإسلامية والإسلام، فـالتركيز على الإسلام وحضارته بدأ بوقت مبكر.

كما كانت الحروب الصليبية بصفة خاصة من أقوى الدوافع إلـى اشـتغال الأوروبيـين

---

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي ص ١٣ – ١٤

(٢) المستشرقون والقران: محمد أمين بني عامر ص ٢٧

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد غراب ص ٢٦، انظر أيضا عبد المنعم فؤاد مرجع سابق ص ٢٨).

بالإسلام وتراثه، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصراني في العصور الوسطى وبين الشرق المسلم[(١)].

ثانياً: دوافع الاستشراق وأهداف المستشرقين:

١- دوافع الاستشراق:

الاستشراق بشكل عام له دوافع متفاوتة شدة وضعفا منها التبشيري ومنها الاستعماري ومنها العلمي، وتظهر هذه الدوافع في أعمال المستشرقين وقد بين هذه الدوافع الدكتور محمد بني عامر في كتابه، وتلخيص هذه الدوافع كما يلي:

١- الدافع التبشيري:

وذلك بعد أن تيقن الغرب المسيحي – بعد الحروب الصليبية – بعدم النصر والغلبة على المسلمين إلا عن طريق التبشير، وقد عرف "رودي بارت" التبشير بأنه: "إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي، ويمكن تلخيص هذا الدافع بالنقاط التالية:

١) العمل على تشويه محاسن الإسلام، والطعن في القرآن الكريم، والتاريخ الإسلامي، وإسدال صورة قاتمة على هذا التاريخ.

٢) عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام.

٣) تشكيك المسلمين أنفسهم بأمور دينهم، وتنفيرهم منه، وتوجيه المطاعن له.

٢- الدافع الاستعماري:

وهو أهم تلك الدوافع حيث يمثل النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب، ومحاولة السيطرة الغربية على الشرق وتدمير قواته، واحتلال أراضيه، واستغلال قدراته، ولسهولة السيطرة على المسلمين واستعمارهم لجأ الغربيون لتحقيق ذلك عن طريق المستشرقين وأهم الأمور التي قام بعملها المستشرقون لتحقيق هذه الغاية، هي:

- ضعف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وسيطرة الوهن والارتباك في تفكيرهم، وقد استطاع المستشرقون أن يصلوا إلى نفوس أبناء المسلمين عن طريق:

١) التشكيك في عقيدة المسلمين وقيمهم من أجل فقدان الثقة بالنفس.

---

(١) محمد بني عامر ص ٣٠. المستشرقون والقرآن.

٢) التشكيك في فائدة التراث الإسلامي الذي بأيديهم.

٣) إحياء مبدأ القوميات من أجل تفريق كلمة الأمة، وهذا فعلاً ما حصل للأمة الإسـلامية ونلمسه اليوم، وحسبنا ا ونعم الوكيل..

٣- الدافع التجاري:

ويعتبر هذا الدافع من أشد الدوافع إلحاحاً في اندفاع الغرب لتعلم لغات الـشرق ودراسـة حضارته، وذلك للأسباب التالية:

١) رغبتهم في التجارة وترويج بضائعهم في العالم الإسلامي، وشراء المواد لـصناعاتهم بأقل الأثمان، والعمل على قتل صناعاتنا المحلية.

٢) البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل الحياة العادية.

٤- الدافع العلمي:

ويتمثل هذا الدافع فيما يلي:

في رغبة عدد من الغربيين بالاطلاع على حضارات الشرق وأديانـه وثقافاتـه ولغاتـه، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، فمنهم من كان يهدف إلـى المعرفـة العلمية الخالصة، فقالوا فيما كتبوه عن الإسلام كلمة حق فأنصفوا وأنصفوا ومنهم من اهتـدى بدراسته إلى الإسلام فآمن.

٥- الدافع السياسي:

بعد أن تحررت البلاد الإسلامية من مخالب الاستعمار، رأت الحكومات الاسـتعمارية أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها من لديهم معلومات جيـدة مـن الدراسات الاستشراقية ليقوم هؤلاء بما يلي:

١) تقديم معلومات وافية للحكومات الغربية عن أحوال العالم الإسلامي، ليسهل عليها فيمـا بعد إحكام قبضتها الحديدية عليه عن طريق الغزو العسكري المسلح.

٢) الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم ونـشر الاتجاهات السياسية التي تريدها الدول الاستعمارية فيهم.

٣) الاتصال بعملائهم من رجال السياسة الذين يقومون بخدمة أسيادهم سياسيا.

٤) القيام بالرد على الأفكار والعقائد وقمع الحركات والأوضاع التي تسبب للدول الغربيـة

صداعا وعرقلة، وتحدث لها مشكلات وعقبات، والعمل على خلق جو لا تكاد تخطر فيه معارضة، بل تحدث حالة من التقديس والإجلال حول حضارتهم، حتى يعترفوا بمآثرهم وجلائل أعمالهم، وحتى ينبعث فيهم دافع الاقتداء والتقليد الذي يحملهم على السير علـى آثارهم في سبيل إصلاح البلاد وترقيتها[١].

وبناء على هذه الدوافع الاستشراقية لدراسة القرآن الكريم، وبناء ايـضا علـى أن هـذه الدراسة في عمومها قائمة على اعتبار القرآن إنتاجاً بشرياً، إذ المستشرقون لا يؤمنون بأنه وحي من ا ، فإن هذه الدراسة جاءت في عمومها تتصف بـصفتين بـارزتين: أولاهمـا: المنـزع التشويهي للقرآن الكريم، فقد كان أكثر المستشرقين عن عمد أو عن غفلة يلحقون بـه النقـائص التي تحط من قيمته، سواء من حيث مصدره أو من حيث تاريخه أو من حيث بنيته، ولا يخلـو من هذا المنزع الا القليل من دراسات المستشرقين للقرآن الكريم، على أن هذا القليل وان كـان يميل في مجمله إلى العدل فهو لا يخلو تماما من الحيف، الذي يكون في الغالـب ناشـئا مـن فقدان الكفاية في المستندات التي يقع الاعتماد عليها في نوعيتها وفي درجة وثوقها.

وأما الصفة الثانية: فهي الاتجاه بالدراسة القرانية وجهة خارجية تعمد إلى الحـوم حـول القرآن دون الدخول إلى صلبه، ولذلك فقد تكاثرت البحوث الاحصائية التي تعد وتصنف آياتـه وكلماته ومواضيعه. ولكننا لا نظفر من بين الدراسات الاستشراقية الكثيرة للقرآن الكـريم مـا يتناول بعمق تحليل وتفصيل المدلول القرآني في جوانبه التشريعية، وأبعاده الأخلاقية والإنسانية، وتنظيماته الاجتماعية والدولية، فهذه المحتويات القرآنية كانـت غائبـة فـي مجمـل البحـوث الاستشراقية للقرآن الكريم إلا في القليل النادر، وهو ما كان له انعكاس سلبي على مجمل تلـك البحوث، إذ مالت كما ذكرنا إلى منزع الاستنقاص، ولو اتجهت إلى المحتوى القرآنـي لكانـت العظمة الموضوعية التي يقف عليها الدارس لذلك المحتوى حائلا دون ذلك المنزع الاستنقاصي، أو حادا منه إلى درجة كبيرة على الأقل..

وتبعا لهذا المنزع العام الذي نزعت إليه الدراسة الاستشراقية للقرآن الكريم، فإن الواقف عليها يجد نفسه في مظنة فائدة يستفيدها فعليه أن يهتبلها من جهة، وفي مظنة تضليل يتعـرض إليه فعليه أن يحذر منه من جهة أخرى. أما الفائدة التي يمكن أن تستفاد فهـي مـن الدراسـات القرآنية المتعلقة بالتصنيف والإحصاء والترجمة وتحقيق النصوص ونشرها، وأما التضليل الذي ينبغي أن يحذر منه فهو مما أدرج في بحوث المستشرقين من الأخطاء و الأغاليط الناشئة مـن

---

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية، الندوي ص ١٧٩

القصور عن فهم القرآن الكريم لقصور في فهم لغته أحياناً، ومن الخلل المنهجي في البحث متمثلا بالأخص في الاعتماد على معطيات ضعيفة أو مجزوءة أحياناً أخرى، أو الناشئة أيضاً من قصد بعض المستشرقين إلى الدس والتشويه قصداً يندرج ضمن أهداف تبشيرية واستعمارية كانت من بين عوامل نشوء الاستشراق كما ذكرنا آنفاً[١].

ثانياً – أهداف المستشرقين:

من خلال ما ذكرنا من دوافع الاستشراق يمكن أن نذكر أهداف الاستشراق في النقاط التالية:

أولاً: كان الاستشراق يهدف منذ البداية إلى الحيلولة بين الشعوب النصرانية والدخول في الإسلام مركزا على تشويه محاسنه لإقناع النصارى بعدم صلاحيته لهم[٢] والهدف العام الذي اتفق عليه المنصرون والمستشرقون هو ردة المسلم عن دينه إلى أي شيء آخر[٣].

ثانياً: ثم اتجهت الدراسات الاستشراقية بعد ذلك إلى الأمة الإسلامية فأخذت في خلق الافتراءات على العقيدة والشريعة والمصدر لكي تضعف الروح الإسلامية عند المسلمين، تبث الفرقة بينهم وتسعى بكل قوة إلى تنصيرهم.

ثالثاً: ثم ارتبطت بعد ذلك بالاستعمار في البلاد الإسلامية بهدف تمكينه لكي يخضع هذه البلاد لقبول أفكارهم وتمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية النصرانية وفي المقابل الحط من قدر الإسلام ومن يتمسك به[٤].

وفي ذلك يقول الدكتور (البهي): "لقد تركزت أهداف الدراسات الاستشراقية مع تنوعها في خلق التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة وحملهم من هذا الطريق إلى الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية[٥] فاخذوا في إثبات المثل الغربية من جانب ثم إظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر[٦] وغني عن القول أن هذه الأهداف التي حملها المبشرون والمستشرقون ما زال يتمسك بها تلاميذ المستشرقين في بلادنا إلى يومنا هذا، ظانين انه لا تقدم ولا مدنية إلا باتباع المثل الغربية والبعد عن الإسلام المتمثل

---

(١) القرآن الكريم، دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، ص١٠- ١٢ وما بعدها.
(٢) الموجز في الأديان والمذاهب ص ١٨١
(٣) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب ص ٥٣
(٤) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبد المنعم فؤاد ص ٣٢ / ٣٣
(٥) الفكر الإسلامي الحديث ص ٤٣١، د. محمد البهي
(٦) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب ص ١٩٨

من وجهة نظرهم في "الدروشة والمسبحة"[١] ويوصف هؤلاء بما قاله المستشرق الفرنسي (جاسينون) في محاولة مسح شخصية هؤلاء التلاميذ: " أن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية " [٢] ثم يكشف للجميع عن هدفه قائلا: "لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ولا رغبة لنا إلا أن نبعثهم ضعفاء.." [٣]

وبالفعل اتخذ هؤلاء منهجا في التشكيك والمغالطة وتشويه الحقائق والافتراء والتزوير، وهو منهج لم يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم، كل ذلك لكي يضعفوا المسلمين ويجعلونهم آلة طبيعية في أيديهم لقبول التبشير والتحول إلى التنصير[٤].

ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى القرآن الكريم وتفسيره:

لقد كانت نظرة المستشرقين إلى القرآن بأنه كتاب جاء به محمد ليصلح به المجتمع وأن هذا الكتاب إنما كتبه محمد واقتبسه من التوراة والإنجيل وغيرهما، وان التوراة والإنجيل أصح من القرآن الكريم.

ويوجد في القرآن الكريم ما هو غير صحيح كما ورد في دائرة المعارف تحت مادة قران " انه لاشك أن هناك فقرات من القرآن قد ضاعت "وان القرآن الكريم قد حرف وان هناك تناقضاً في القرآن الكريم .إلى غير ذلك من الافتراءات حول القرآن الكريم مما هو منه براء، بقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات آية ٢٣) وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت آية ٤٢).

لذا سعى المستشرقون إلى الطعن في كتاب ا تعالى، فهم يزعمون بان الإسلام نسيج مشوه استمده الرسول ﷺ من المصادر اليهودية والمسيحية والزرادشتية. وبزعمهم هذا يعملون على إثبات أن القرآن الكريم موضوع وليس وحيا من عند ا ، وإنما هو مرآة لأفق خاص من الحياة، هو أفق من تلكم العقائد المنتشرة وقتئذ في رقعة الجزيرة العربية لا سواها[5].

وفي ذلك يقول المستشرق الإنجليزي جب (gibb) أستاذ الدراسات العربية بجامعة

---

(١) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبد المنعم فؤاد ص ٣٣
(٢) الغزو الفكري، إبعاده ومواجهته، د.عبد العزيز تمام ص ٤٧
(٣) المرجع نفسه، عبد المنعم فؤاد ص ٣٣ نقلا عن الموجز في الأديان والمذاهب ص ١٨٢
(٤) المرجع نفسه، عبد المنعم فؤاد ص ٣٣
(5) محمد بني عامر ص ٢٠٦

هارفارد بالولايات المتحدة في كتابه (المذهب المحمدي) والمستشرق سنكلير تسدل فـي كتابـه (مصادر الإسلام) ما نصه: "إن شرائع الإسلام تأسست من شـرائع الأديـان المعاصـرة لـه والمنتشرة وقتئذ في الشرق، إلا وهي: اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصائبة، والفارسية، والجاهلية"(١).

ويقول المستشرق أندرسون (Anderson): " ليس من شك في أن محمد اقتبس أفكاره من مصادر التلمود، وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية(٢).

وهناك الكثير الكثير من اقوال المستشرقين حول القرآن الكريم وتاريخه، ومدى صـحته وتحريفه ليس محل بحثنا هنا ما ذكرناه حول نظرة المستشرقين للقرآن الكريم اتسم بـه أغلـب المستشرقين، لكن هناك من المستشرقين من شهد شهادة حق في حقيقة وصـحة هـذا الكتـاب العظيم.

فيقول المستشرق الدكتور شبس: "يعتقد بعض العلماء أن القرآن الكريم كلام محمد وهـذا هو الخطأ المحض فالقرآن الكريم هو كلام ا تعالى الموحى على لسان رسـوله محمـد (ﷺ) وليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيـه عقول الحكماء ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون مـن اعتـراف رجـل أوروبي بهذه الحقيقة، فلا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العاليـة والـنظم المحكمة، وتلك البلاغة التي لم أر مثلها قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات."(٣).

ولسنا بحاجة إلى شهادة بعد شهادة رب العالمين، إذ يقـول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (سورة النجم آية ٣-٤) ولكن أوردت هذه الشهادة من باب وشهد شاهد من أهلها..

---

(١) نفس المرجع السابق.
(٢) نفس المرجع ص ٢٠٨
(٣) نفس المرجع السابق.

الفصل الأول

المبحث الأول :

التفسير كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية:

أولاً: تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما:

عرف الكاتب (كاراده فو) في دائرة المعارف الإسلامية التفسير بأنه: "كلمة تـدل علـى تفسير القرآن الكريم بصفة خاصة وعلى علم التفسير نفسه الذي يعـرف باسـم" علـم القـرآن والتفسير "وهو فرع خاص هام من علم الحديث يعلم في المدارس والجامعات. "[١]

مما يلاحظ على هذا التعريف الأمور التالية:

١. افتقاره إلى المنهجية السديدة في التعرف التي ينبغي أن تكون من الناحية اللغويـة ثـم الاصطلاحية.

٢. الخلط بين علم التفسير وعلوم القرآن.

٣. اعتبار علم التفسير فرعاً من علوم الحديث في المعاهد العلمية.

وعليه فإن التعريف ليس جامعاً لأركان المعرف ولا مانعاً من خروج بعض أركانه منـه، ولا شك ان التفسير في اللغة أصله من الفسر الذي يدل بمادته على المبالغة والكـشف والإبانـة والتوضيح، ذلك ان الكلمة على وزن تفعيل التي هي من صيغ المبالغة[٢]

يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣).

أما التفسير في اصطلاح المفسرون فلقد تعددت فيه أقوالهم وان تقاربت في المعنى، ومن أجمع هذه التعريفات وأدقها ما ذهب إليه أبو حيان في مقدمة تفسيره معرفاً له بأنه "علم يبحـث في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك".

ولا شك ان هذا التعريف يشمل كل ما يتحقق به علم التفسير وما يحتاج إليه من علوم فهو

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ / ص ٤١٠.

(٢) ابن منظور: (لسان العرب ج ٦ / ص ٢٦١، ٣٢) باب الراء فصل السين، وانظر الراغـب الأصـفهاني المفردات ص٣٨٠.

يشمل علم القراءات وعلم مدلولات الألفاظ وهو علم اللغة كما يشمل علم التصريف والإعراب والبيان والبديع الذي يتناول الأحكام الإفرادية والتركيبية ثم العلم بالحقيقة والمجاز وهو ما أشار إليه التعريف بالمعاني التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك من معرفة النسخ وأسباب النزول وما شابه ذلك مما لا يستغني عنه علم التفسير. (١)

وكما يبدو من تعريف دائرة المعارف للتفسير أن هذا التعريف لعلم التفسير وان اشتمل على بعض علوم القرآن إلا أننا لا نستطيع ان نجعله تحت اسم علم القرآن كما يبدو الكاتب، علوم القرآن كما يعرفه العلماء عبارة عن المسائل التي يبحث فيها في علم القرآن(٢) مثل أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، المكي والمدني. لكن علم التفسير وإن كان فرعاً من فروع علوم القرآن الكثيرة كما عده أصحاب المصنفات المشتهرة إلا أنه لأهميته وكثرة فروعه أصبح علماً خاصاً مستقلاً له شخصيته المميزة له وإن كان أصحاب المصنفات في علوم القرآن قد عدوه فرعاً من فروعه إلا أن الأمر استقر بعد ذلك على اعتباره علماً مستقلاً ومثله إعجاز القرآن، والقراءات، والمناهج، والقضايا البيانية. إلا أن التخصصية نحت بكل علمٍ منحى بيانياً استقلالياً (كلاً على حدة).

والتفسير إنما ينتظم العلوم المختلفة فهناك تفسير القوانين والتشريعات وهو يخص القانون، وهناك تفسير النصوص الأدبية..الخ.

أما الملحظ الثالث الذي أشرت إليه في تعريف الكاتب عندما قال "وهو فرع خاص هام من علم الحديث"، معتبراً علم التفسير فرعاً من علوم الحديث فليس من الدقة في شيء، ويبدو أن الكاتب خلط بين نشأة التفسير كعلم ينقل رواية ومشافهة فكان جزءاً مما عرف بعد ذلك بعلوم الحديث، وبين ما استقر عليه الأمر بعد ذلك.

فكان ذلك في الصدر الأول للإسلام، حيث كان الصحابة – رضوان ا عليهم – يعتبرون التفسير شهادة عن ا بأنه عنى باللفظ كذا، فكانوا يتحرجون ولا يقولون في تفسير القرآن إلا ما سمعوه من رسول ا (ﷺ)، أو نقل إليهم عنه - صلوات ا وسلامه عليه -، فكان أول ما ظهر من التفسير تفسير الرواية، وكان رجال الحديث هم أصحاب الشأن الأول في ذلك، وهذا ما جعل كتب الحديث تشتمل على أبواب خاصة في التفسير، ومثال ذلك ما كان في صحيح البخاري، حيث أفرد رحمه ا كتابين فيما يخص القرآن الكريم: كتاب التفسير، وكتاب فضائل

(١) انظر الذهبي، ج١، ص١٤-١٥.
(٢) انظر فضل عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٤٣.

القرآن. أما فيما بعد فقد أصبح علم التفسير مستقلاً عن علم الحديث ولكل مسائله وجزئياته الخاصة به.

وبالرغم من صحة هذه الأحاديث وعظيم فائدتها، إلا أن الكاتب يتعرض لنقدها، نقد الجاهل بالحقيقة المتعالي عن معرفتها، نقداً جريئاً يخلو من الشرعية والموضوعية و الأمانة العلمية التي يدعون انهم يكتبون كتاباته بها.. فيقول:

- "وتساءل النقاد المحدثون (كولد تسيهر ولامنس وغيرهما) عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيرا، والظاهر أن كثيرا من هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسالة شرعية، وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية، ويذهب النقاد المحدثون إلى انه لا أمل في العثور في هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن أسباب لنزول القرآن و إذاعته في الناس[1].

قبل التحليل والنقد لهذه العبارات لا بد من الإشارة إلى ملحوظة على التعليق على مادة التفسير وغيرها في الدائرة والتي كانت بقلم الدكتور إبراهيم الخولي: والتي تتلخص في تعريف التفسير لغة واصطلاحاً بصورةً مختصرة وتاريخه ونشأته وبيان أهميته والتعريف بانواعه مما يتحقق به شيئاً من الفائدة لذلك المقام ويبدو أنه لم يتعرض إلى قضايا مهمة كان لا بد من الوقوف عندها لا سيما هذه الفقرة التي بين أيدينا فلم يتعرض لنقدها إلا بمجرد كلمة عابرة أثناء حديثه عن التفسير وتاريخه ونشأته والإسهاب في ذلك والتعرض لأمور لا علاقة لها بما ورد في مادة التفسير في الدائرة، الأمر الذي يستدعي الوقوف بالشكل الدقيق على ملحوظات مهمة مما جاء في الدائرة.

وعودة إلى النص المنقول آنفاً في الدائرة الذي يوضح وجهة نظر أصحابه حول الأحاديث في الكتب الجامعة والتي تتلخص في الأمرين التاليين:

الأمر الأول: قيمة الأحاديث وقصرها على تقرير مسالة شرعية أو غرض كلامي أو كونها مجرد توضيح بل انها على حد زعمهم قد تكون لمحض اللهو والتسلية!!!

الأمر الثاني: وهو كسابقه في الخطورة ألا وهو التشكيك في صحة هذه الأحاديث والزعم بانقراض الصحيح منها ولا ريب أن هاتين الشبهتين لا تلبثان أن تنهارا أمام الحجة

---

(١) الدائرة ج ٥ / ص ٤٠٩

والدليل وبيان ذلك يتلخص أيضاً في الأمور التالية:

أولاً: لم تكن الأحاديث في يوم من الأيام لمجرد اللهو والتسلية ذلك أن الأحاديث جزء مهم من الوحي الذي أقره القرآن الكريم وأمر بلزوم أحكامه فقال مؤكداً سلامة المصدر: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٤، ثم مبيناً قيمتها وانها فضلاً على أنها لتقرير مسألة شرعية أوغرض كلامي أو مجرد توضيح كما اقروا بذلك إنما هي أعظم البيان لآي القرآن كما قال تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤) ومثال ما جاء للتوضيح المعجز البليغ: ما أورده البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾ (الانشقاق: ١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " لتركبن طبقا عن طبق أي حالا بعد حال، قال هذا نبيكم"[1]. وعلى ذلك فإن الإدعاء بأن الأحاديث النبوية إنما هي لغرض اللهو والتسلية إدعاء في غاية الخطورة وباطلٌ أشد البطلان وحاشى وكلا لمن لا ينطق عن الهوى أن يتكلم عبثاً ذلك أن الناظر إلى هذه الأحاديث والمتتبع لها يجد أنها جاءت تنطق بأعظم القيم وأنبلها. وتكلمت بأشرف كلام وأبينه. وحثت على أكرم خلق وأرفعه. وحذرت من الوقوع في معصية خالق الكون ومدبره، كيف لا وهي تتحدث بتنزيل الحكيم الحميد، كيف لا وهي تتحدث بالبيان الذي اعجز أمة البيان.

ثانياً: أما قضية التشكيك في صحة هذه الأحاديث فيرد عليه بأن أئمة الحديث وعلماؤه اعتنوا بحديث رسول الله عنايتهم بكتاب الله، مع التسليم بأن القرآن متعهد بحفظه متواتر كله، فوضعوا لأجل قبول الحديث أدق القواعد والمبادئ لضمان الحيطة والحذر عن وقوع الضعف والوضع فيه فتميزت المصنفات الصحيحة المعتمدة عن الضعيفة التي ظهرت مع توسع دولة الإسلام ودخول أهل الكتاب فيه، ولا شك أن المصنفات الحديثية التي تزخر بها المكتبات الإسلامية أكبر برهانٍ على هذه الحقيقة، وأبرز هذه المصنفات صحيحا البخاري ومسلم اللذان يتميزان بالصحة المطلقة غير القابلة للنقاش في حين تتميز الكتب الستة بالصحة في مجملها وعليه فالضعف يسير وهو واضح لا محالة يرفضه المسلم قبل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: "لتركبن طبقاً عن طبق" حديث رقم (٤٦٥٦).

غيره.

والأحاديث النبوية التي جاءت في هذه الكتب الجامعة وأولها اصح كتاب بعد كتـاب ا عزو جل كثيره وأذكر شيئاً منها تأكيداً على هذه الحقائق.

١) أورد البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله عـز وجـل: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ (البقرة: ١٩٩) عن عائشة رضي ا عنها: "كانت قريش ومن دان دينهـا يقفـون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر الناس يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر ا نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها[1].

فهذا كما هو واضح جاء لتوضيح من أين يفيض الناس في الحج الـذي هـو الـركن الخامس من أركان الإسلام، ولا خدش في درجة الحديث حيث مجيئه في جامع البخاري الذي بلغ قمة الدقة والعناية في انتقاء وجمع الصحيح من حديث رسول ا ﷺ.

٢) في سورة الممتحنة باب قوله تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة: ١) عـن علي بن أبي طالب – رضي ا عنه - قال: " بعثني رسول ا (ﷺ) أنا والزبير والمقداد – رضي ا عنهما – فذكر حديث حاطب بن أبي بلتعة، وقال في آخره أنزلت فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة: ١) فهذا الحديث ببيان سبب نـزول هـذه الآية الكريمة يقرر مسألة هامة من مسائل العقيدة الإسلامية، مسألة الولاء و البراء عـز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة: ١).

٣) وجاء في سبب نزول قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(التحريم: ١) عن عائشة – رضـي ا عنهـا – قالـت: " كـان رسـول ا (ﷺ)يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فوطئت أنا وحفصة عن أيتنا دخـل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس" حديث رقم (٤٢٤٨).

عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير، قال: لا، ولكني كنت أشرب عـسلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا"[١].

أليس هذان الحديثان أخبارا صحيحة في سبب نزول هاتان الآيتان؟ فكيف تدعون انـه لا أمل في العثور على أخباراً صحيحة في أسباب لنزول القرآن وإذاعته بين الناس، هذا الخبـران من اصح كتاب بعد كتاب ا عز وجل، وهناك كثير من الروايات الواردة في أسباب النزول في غير صحيح البخاري، صحيح مسلم، و الترمذي، وغيره من كتب السنة والمؤلفات المستقلة في أسباب النزول[٢].

فمثال ما جاء في صحيح الإمام مسلم – رحمه ا – ما أورده في كتاب التفسير بسنده عن طارق بن شهاب، أن اليهود قالوا لعمر: إنكم تقرؤون آية لو أنزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأي يوم أنزلت، وأين رسول ا (ﷺ) حيث أنزلت بعرفـة ورسول ا واقف بعرفة " قال سفيان: يعني قوله تعـالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ (المائدة آية ٣).

ومثال ما جاء في صحيح الترمذي، ما أورده في أبواب التفسير بسنده عن عامر بن ربيعة عن أبيه، قال: " كنا مع رسول ا (ﷺ) في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، ف(ﷺ) على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول ا عليه الصلاة والسلام، فنزلت آيـة: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ (البقرة آية: ١١٥).

وعلماء الإسلام إذ يعرضون في حديثهم عن لفظة التفسير، لذكر التأويل والفرق بينه وبين التفسير، إلا أن دائرة المعارف الإسلامية قد عرضت للفظة التأويل في جزء مستقل من الـدائرة تحت مادة التأويل فعرفه الكاتب (باريه) بقوله:

"التأويل في الأصل معناه بوجه عام التفسير والشرح وفي بعض آيات القرآن الكريم التـي ترد فيها هذه اللفظة نراها تشير اشارة واضحة إلى الوحي الذي ينزل على النبي محمـد، وقـد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى:" يا أيها النبي..."...
(٢) منها أسباب نزول القرآن الكريم للواجدي ص٣٤٥، لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، وكتب التفسير بالمأثور فيها الكثير من روايات أسباب النزول.

صار استعمال التأويل بعد ذلك مقصوراً على هذا المعنى الخاص، وكانت من ثم تعني شرح معاني القرآن، وصارت حينا ما مرادفة للفظة تفسير، ثم اكتسبت اللفظة نصيبا أوفر من التخصيص ولو أنها لم تقتصر على هذا المعنى وحده، وصارت اصطلاحا يطلق على تفسير مادة القرآن، والتأويل في هذا المعنى وحده، وصارت اصطلاحا يطلق على تفسير مادة القرآن الكريم ، والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءا إضافيا هاما للشرح الظاهري للقرآن الذي صار يسمى بالتفسير"[١].

بعد النظر في هذا التعريف لابد هنا من ملاحظات عديدة:

أولاً: ليس تعريفا منهجيا علميا،

فالتأويل لغة: هو من الأول وهو الرجوع، ومنه آل إليه الأمر بمعنى رجع[٢].

أما التأويل اصطلاحا: فهو "ما يفهم من الآية وراء ما تعطيه الألفاظ، أي التدبر والبحث عما وراء الألفاظ[٣]، ولعل هذا فيه إشارة إلى قول الكاتب "والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءا إضافيا هاما للشرح اللفظي الظاهري للقرآن "، ولكن هذا لا يسمى تفسير كما يقول.. فهو قد ناقض نفسه بنفسه في عبارته هذه.

***الفرق بين التفسير والتأويل:**

لقد ذكر العلماء فروقا عدة بين التفسير والتأويل، ومن أحسن ما ذكر في ذلك، وما أميل إليه، كلام الراغب الأصفهاني في مقدمته، حيث ذكر فروقا عدة، كلها مردها: أن التأويل يحتاج إلى دقة وتدبر وإعمال فكر في فهم الآيات القرآنية، وأن لا نكتفي بمعنى اللفظ الظاهر بل نتجاوزه إلى ما وراء اللفظ[٤].

ولعل الراغب اعتمد الأصل اللغوي لكلمتي التفسير والتأويل، فالتفسير منصب على الإيضاح والبيان، أما التأويل فهو مأخوذ من الأول الذي يعني الرجوع، فالتأويل يعمل ذلك ويرجع ما تؤول إليه الآية القرآنية.

---

(١) الدائرة ج٤ / ص ٥٢٣
(٢) لسان العرب ج ٦ / ص ٣٢
(٣) فضل عباس: التفسير سياساته واتجاهاته ص ١١٢
(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٠

ثانياً: الملاحظة الثانية في قول دائرة المعارف:

"هذه اللفظة أشارت إلى الوحي الذي ينزل على النبي محمد (ﷺ) في بعض آيات القـرآن الكريم". وهذه الملحوظة لم يتعرض لها المعلق على مادة التأويل في الدائرة – أحمد محمد شاكر – رغم أن ما كتبه كان ذو فائدة عظيمة، لكنه كان مختصرا ولم يكن شاملا لكل شـيء.. فهـذا الكلام يخلو من الدراسة والفحص الدقيق للآيات التي ذكر فيها لفظة التأويل، فلـو تتبعنـا هـذه الآيات لوجدناها كما ذكرها الأستاذ الفاضل فضل عباس(1) كما يلي:

١- ما يتصل بالمتشابه:

قال تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧).

٢- ما يتصل بتأويل الرؤيا:

قال تعـالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ (يوسـف: ١٠٠)

وفي السورة نفسها في رؤيا الملك ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ (يوسف، ٤٤).

٣- في تأويل الأعمال وبيان ما يقصد منها:

قال تعالى حاكياً عن العبد الصالح يخاطب موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهـــف، ٧٨)، وقولـــه: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف،٨٢).

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٨

٤- وردت كلمة تأويل في صحة ما ينبئ عنه القرآن، وانه محقق الوقوع:

قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ (يونس، ٣٩).

* نشأة التفسير:

أشارت دائرة المعارف إلى نشأة التفسير أثناء حديثها عن لفظة التفسير، وذكـرت عـدة مؤلفات لتفاسير علماء مختلفين في العصور والاتجاهات.

وهذا نص ما جاء في الدائرة:

"علم التفسير قديم يرجع إلى صدر الإسلام ويروى أن ابن عباس رضي ا عنه المتـوفى عام ٦٨ بعد الهجرة كان حجة في التفسير وقد نسبوا إليه تفسيرا - محفوظا بالمكتبة الحميديـة باستنبول-"[(١)].

هذا التفسير المنسوب لابن عباس معروف باسم - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – للفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط، وقد تناول العلماء هذا التفـسير بالدراسـة والبحـث، ودراسة الطرق التي رويت عن ابن عباس ومبلغها من الصحة، ليصلوا إلى خبر صحيح فـي صحة نسبة هذا التفسير إلى ابن عباس كما وقد الفت فيه رسائل جامعية.

ومن هذه الرسائل رسالة للدكتور إبراهيم محمد عوض النجار، حيث اخذ هذا التفـسير بالتوثيق والدراسة وتوصل إلى أن تفسير ابن عباس المخطوط والمطبوع المسمى تنوير المقباس هما كتاب واحد لا تربطه بالفيروز أبادي آية صلة وكتاب الفيروز أبادي "تنوير المقبـاس مـن تفسير ابن عباس " الذي ذكرته المصادر قد فقد مما أدى بالتالي إلى عملية تلفيقية فـي القـرن الثالث عشر الهجري أخذ عنوان كتاب الفيروز أبادي ووضعه لتفسير ابن عبـاس[(٢)] واثبـت أن هذا الكتاب ليس من تأليف ابن عباس أو إملائه على تلاميذه، حيث قال: "والناظر فـي تنـوير المقباس يدرك من الوهلة الأولى أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من كتابـة ابـن عبـاس أو تصنيفه، ويرجع ذلك إلى أسلوبه وترتيبه ولغته"[(٣)]

وبعد أن دلل على ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، قال:

---

(١) الدائرة ج ٥ / ص ٤١٠.

(٢) تفسير تنوير المقباس المنسوب إلى ابن عباس توثيق ودراسة:إبراهيم النجار ص ٣١٨

(٣) تنوير المقباس، المرجع نفسه، ص ١٠٧.

"من كل هذه الأدلة، نقول: إن هذا التفسير لا يمكن نسبته إلى ابن عباس على أنه من تصنيفه أو كتابته أو روايته على أحد تلاميذه خاصة وان رواياتهم عنه معروفة ولا يلتقي مع التنوير في أغلب أحوالها بشيء"[١].

وفي نهاية الدراسة، رجح صحة نسبة متن الكتاب إلى ابن عباس، حيث قال: " كل ما جاء في متن الكتاب عن ابن عباس يرجح صحة نسبة متن الكتاب إلى ابن عباس"[٢].

أقول ويمكن أن يكون وهم نسبة الكتاب إلى ابن عباس جاء من هنا أي من نسبة متنه إلى ابن عباس، لكن كما اثبت الكاتب لا تصح نسبة الكتاب إليه على أنه من تأليفه – رضي ا عنه – وا اعلم.

* أنواع التفسير:

أشارت دائرة المعارف العامة إلى بعض أنواع التفسير من خلال حديثها عن تفاسير بعض العلماء وتقديمهم لها وأولهم الطبري حيث قال الكاتب أثناء حديثه عن معنى التفسير: "والطبري هو المؤرخ العظيم المتوفى عام (٣١٠ هجري) ويشمل تفسيره المطول كثيرا من الأحاديث المسندة الصحيحة.

أما الزمخشري المتوفى عام (٥٣٨ هجري) فقد كان فطنا حاد الذكاء صاحب خلق مرهف الحس، وفقيها في اللغة، ولتفسيره الكشاف مكانة كبرى وقد شرحه[٣] بعض أفاضل الفقهاء مثل التفنازاني المتوفى عام (٧٩٢ هجري)، والسيد الشريف الجرجاني المتوفى عام (٨١٦ هجري)، وتفسير البيضاوي اشهر التفاسير وهو الذي يقرأ في المدارس، ويحدد مذاهب أهل التقى من المسلمين في تفسير القرآن الكريم وقد علق الكثيرون على هذا التفسير، ونذكر من التفاسير الأخرى تفسير فخر الدين الرازي المتوفى عام (٦٠٦ هجري) ويعرف باسم التفسير الكبير وتفسير إسماعيل البروسوى المتوفى عام (١١٢٧ هجري) وله مقام كبير عند الترك واكثر هؤلاء العلماء من فارس". وفي فقرة لاحقة قال: "وفي أيامنا هذه حاول عالم مصري هو الشيخ

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٩

(٢) المرجع نفسه، ص٣١٩

(٣) كلام الكاتب هنا غير دقيق فقد وقفت على شرح الجرجاني ولم اعثر على شرح للتفنازي

الطنطاوي (جوهري) أن يجدد دراسة التفسير، وقد نشر تفسيرا فيه الكثير من الآراء المـأخوذة عن الفلسفة والعلم الحديث"[١].

ويمكن أن يفهم من الكلام السابق بعض الأنواع الرئيسية للتفسير التي ذكروها:

أولاً: النوع الأول من التفسير:

التفسير المأثور:

وذلك بإشارته إلى تفسير الطبري وانه يحتوي كثيراً من الأحاديث المسندة الصحيحة، فهو لم يعرف التفسير المأثور، ولم يذكر أنواع التفسير.

فالتفسير المأثور: هو الذي يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفـصيل لـبعض آياته، وما نقل عن الرسول (ﷺ) وما نقل عن الصحابة رضوان ا عليهم جميعا وما نقل عـن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد ا تعالى من نصوص كتابه الكريم[٢] ولكن لا بـد هنا من وقفة مع هذه العبارة التي يقول فيها الكاتب: "والطبري وهو المؤرخ العظـيم ويـشتمل تفسيره المطول على كثير من الأحاديث المسندة الصحيحة".

هذه العبارة يعوزها الدقة والفحص الدقيق لما جاء في تفسير الطبري، فتفسيره كمـا هـو معروف يشتمل على كثير من الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات، ذلك أن الطبري كـان منهجـه ذكر الأحاديث مسندة دون التنبيه إلى الصحيح من غيره منها، وقد تتبع العلماء هـذه الأحاديـث بالدراسة والتدقيق لمعرفة الصحيح من غيره منها والفت في ذلك مؤلفات وكتـب فيـه رسـائل جامعية.

ثانياً: أما النوع الثاني من أنواع التفسير:

فهو التفسير بالرأي:

فبذكره لتفسير الكشاف وغيره من التفاسير الأخرى التي تذكر على أنها من الأمثلة علـى

---

(١) الدائرة ج ٥ / ص ٤١٠

(٢) الذهبي: التفسير والمفسرون ج ١ / ص ١٠٥

فما هو التفسير بالرأي:

يعرف التفسير بالرأي عند علماء المسلمين: بأنه عبارة عن تفـسير القـرآن بالاجتهـاد، والاجتهاد هنا اجتهاد يستند إلى أسس صحيحة ثابتة، لذلك قسموا الرأي إلى رأي محمـود ورأي مذموم، فالرأي المحمود: "هو الذي يستند إلى معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التي يحتـاج إليها المفسر"[١].

أما الرأي المذموم: "هو الرأي الذي لا يستند إلى شيء من هذه الأسس، بل يعتمـد علـى الهوى الناشئ عن جهل أو نحلة باطلة، أمثلة هؤلاء الذين أشار إليهم الكاتب أثناء حديثـه عـن لفظة التأويل وسنأتي إليها إن شاء ا .

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر لا بد هنا من وقفة مع قول الكاتب: "وتفسير البيـضاوي اشهر التفاسير وهو الذي يقرأ في المدارس ويحدد مذاهب أهل التقى من المسلمين".

لعل الكاتب في هذه العبارة ما أصاب الحق والصواب، ذلك أن هناك تفاسير اشتهرت قبل هذا التفسير، وكما نعلم هذا التفسير اختصره صاحبه من تفسير الكشاف للزمخشري، لكنه ترك ما فيه من اعتزاليات وان كان أحيانا يذهب إلى ما ذهب إليه صاحب الكشاف، وكـذلك اسـتمد البيضاوي من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، ومن تفسير الراغـب الأصـفهاني، وإذا نظرنا في هذا التفسير نجد أن البيضاوي كثيرا ما يقرر مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقاط النزاع بينهم[٢]، ولعل هذا ما قـصده الكاتـب بقوله " ويحدد مذاهب أهل التقى من المسلمين".

وبعد البيضاوي وبعد الرازي تعددت التفاسير وتعددت المدارس الفكرية كـذلك، فهنـاك

---

(١) الذهبي ج ١ / ص ١٧٠

(٢) المرجع نفسه، السابق، الذهبي ١ / ص ١٧٠

التفسير الفقهي واللغوي والعقدي، ففي كل عصر من العصور كـان يظهـر تفـسير، فهنـاك التفسيرات المشتهرة لأبي حيان وابن كثير، ومن جاء بعدهم مثل أبي السعود، حتى القرن الثالث عشر الهجري، وجد فيه موسوعة تفسيرية رائعة وهو تفسير "روح المعاني" للعلامة الآلوسـي، وهناك تفاسير ذات شهرة علمية، ذات فوائد جمة للشيعة الإمامية كتفسير "مجمع البيان" وغيرهم.

أما التفسير في العصر الحديث فقد أخذ أهمية في محاولة إيقاظ المسلمين بتفسير القـرآن تفسيراً يوافق روح العصر الجديد الذي اتصل فيه الشرق المستعمر بالغرب يلقي مفاهيم جديـدة ويطرح موضوعات متعددة، تشكل عبئاً على عاتق العلماء، ذلك أن الاستعمار بجناحيه التبـشير والاستشراق يبذل محاولات كثيرة هدفها قطع الصلة بين المسلمين وبين تراثهم، وبخاصة القرآن والسنة، وقد جند لذلك كثيراً ممن تشربوا ثقافته، وفتنوا بقوته، وما أعظم الفرق بـين نفـسيتين: نفسية الضعيف المستهدف، ونفسية القوي المستبد، وكان ذلك يتطلب من ذوي الكفاءة والغيـرة من أن ينبهوا المسلمين إلى هذه المخاطر وليذكروهم أن دينهم بعامه وكتـابهم بخاصـة أسـس المدنية الفاضلة، وكان في مقدمة هؤلاء الإمام محمد عبده – رحمه ا – فقد حـاول أن يفـسر القرآن الكريم تفسيرا يوافق أسلوبه روح العصر، وينسجم مع المثقفين الجدد ولكن الـشيخ لـم يحاول يوما أن يتكلم ليثبت أن المخترعات الحديثة والنظريات الجديدة موجودة كلها في القـرآن الكريم ، ذلك أمر لم يكن منهج الشيخ، وإنما كان كل همه وهم رجال مدرسته مـن بعـده، أن ينبهوا المسلمين إلى سنن ا في هذا المجتمع البشري والتي شرحها القرآن الكريم شرحا وافيا، صحيح بذلت بعض المحاولات فيما بعد لتفسير القرآن الكريم تفسيرا علميا، ولقد وقفت مدرسة الشيخ من هذه المحاولات موقف المنكر والمستنكر في الغالب، ويظهر لنا ذلك في موقف الشيخ رشيد رضا صاحب "المنار" من تفسيرات الشيخ طنطاوي جوهري – رحمهما ا – ولعل هـذا يفسر ما أشار إليه الكاتب بقوله: " وفي أيامنا هذه حاول عالم مصري هو الطنطاوي جوهري أن يجدد دراسة التفسير وقد نشر فيه كثيراً من الآراء المأخوذه من الفلسفة والعلم الحديث "، وفـي هذا التفسير أعني – طنطاوي جوهري – يقول الدكتور صبحي الصالح: " وقد ألفت في القـرن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين فيها محاولات للتجديد، واقلها نصيباً من النجاح، بـلا ريب – الجواهر في تفسير القرآن – للطنطاوي جوهري، فإن في تفسيره كل شـيء مـا عـدا

التفسير[١].

ورداً على ذلك لا بد من تقرير حقيقة كون القرآن الكريم شديد الاختزال والاكتناز للأفكار والمعاني، وهو ما يشير إليه المفسرون بقولهم: " القرآن حمال اوجه "وعليه، فان فكرة التجديد ليست مرفوضة في التفسير، لكن الذي لا نقره أن يكون هذا التجديد قائماً على أسس وقواعد غير منضبطة كالذي نلحظه في تفسير "الجواهر" الذي أكثر فيه المفسر من الاعتماد على النظريات والخرافات، الأمر الذي لا يقبل إطلاقا عند المفسرين قديماً وحديثاً.

*** شروط التفسير :**

ولقد أشارت إليها دائرة المعارف أثناء حديثها عن معنى التأويل:

قال الكاتب (باريه) أثناء حديثه عن معنى التأويل: "والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءاً إضافياً هاما للشرح اللفظي الظاهري للقرآن الذي صار يسمى "بالتفسير" ولم يجد علماء السنة مسوغاً لإنكاره مادام لا يناقض المعنى الظاهر الحرفي للقرآن أو السنة، ولكن المسألة تغيرت عندما أصبح التأويل لا يراعي هذه الشروط"[٢]

وقال في فقرة لاحقة: "والصوفيون و إخوان الصفاء والشيعة والمدارس الفكرية عندما انحرفت عن طريق السنة جعلت التأويل أداة صالحة لجعل آرائهم متفقة مع المعنى الحرفي للقرآن الكريم بل ذهبوا إلى استنباط آرائهم من نصوصه.." [٣]

ولدى النظر والتحليل نجد أن نص الكاتب يحوي ما يلي:

أولاً: الشروط التي ذكرها للتفسير، وهي:

١- أن لا يناقض المعنى الظاهر الحرفي للقرآن أو السنة.

٢- أن لا يفسر النص القرآني وفق آرائه وهواه.

٣- البعد عن التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال

---

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢٩٧
(٢) الدائرة ج ٤ / ص ٥٢٣
(٣) المرجع السابق.

في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأي طريقة أمكن، ولإن كان غاية في البعد والغرابة، هذه الشروط كما هو معلوم مسلم بها عند العلماء المـسلمين ولكـن هناك شروطاً أخرى لا بد من ذكرها لم يتنبه إليها الكاتب وهي:

١. البعد عن التهجم على بيان مراد ا   من كلامه مع الجهالة بقـوانين اللغـة و أصـول الشريعة دون أن يحصل العلوم التي يجوز معها التفسير.

٢. البعد عن الخوض فيما استأثر ا   بعلمه، وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا ا .

٣. التفسير مع القطع بأن مراد ا   كذا وكذا من غير دليل[1]

هذا وقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه دون أن يلتزم الوقـوف عند حدود المأثور منه فقط عدة شروط أجملها الدكتور مناع القطان[2]، وهي:

١. صحة الاعتقاد.

٢. التجرد عن الهوى.

٣. أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقران.

٤. أن يطلب التفسير من السنة.

٥. فإن لم يجد في السنة رجع إلى اقوال الصحابة.

٦. فإن لم يجد في اقوال الصحابة رجع إلى اقوال التابعين.

٧. العلم باللغة العربية وفروعها.

٨. العلم بأصول العلوم المتعلقة بالقران.

٩. دقة الفهم.

ثانياً: التفسيرات المنحرفة في دائرة المعارف:

وقد أشار إليه الكاتب أثناء حديثه عن لفظة التأويل، فقال:

".. والى جانب التفسير الحرفي لنصوص القرآن نشأ تفسير رمزي النزعة وجد في ثنايـا

---

(١) الذهبي: التفسير والمفسرون ج ١ / ص ١٨٢

(٢) مباحث في علوم القرآن، ص٣٢٩ - ٣٣١.

القرآن أفكاراً بعيدة عن المألوف، وقد صارت المدارس المتطرفة ترى في هذا النقل والتحـويل للمعنى الظاهري السبيل الوحيد لتفهم القرآن وبذلك أهملوا التفسير التقليدي بل صـارت أحكـام القرآن في رأي أصحابها غير واجبة الاتباع، والتأويل الرمزي يمكن اعتباره في جوهره إسلامي الأصل والنشأة[(١)].

فاتجاهات التفسير التي خصها بالذكر دون غيرها من الاتجاهات القيمة عنـد المـسلمين والتي سبق الإشارة إليها وهي:

١- التفسير الحرفي لنصوص القرآن الكريم والذي وصفه بالتقليدي.

٢- التفسير الرمزي.

وهذا التفسير الأخير – الذي أشار إليه انه قد نشأ عن تأويلات الصوفية وغيـرهم ممـن أشار إليهم الكاتب، ومثل هذه التأويلات لا تمت للإسلام بصلة وإن كان قائلوها يسمون بأسماء إسلامية.

ويذكرون في تاريخ الإسلام، ذلك أنهم تكلموا في القرآن بغير علم، وادعوا أن له ظـاهرا وباطنا، وان الباطن لا يعلمه هؤلاء إلا بشيء يزعمونه نحو الإلهام، وهم لم يفقهوا ظاهر القرآن الكريم ، ولم يعرفوا شيئا من السنة، أو عرفوا وأعرضوا عنه لما وقر في نفوسهم مـن حـب الأغراب، أو من آراء تنافي الإسلام.فأرادوا أن يلصقوها به، فالإسلام بريء من أقوالهم وآرائهم هذه، والإسلام بين واضح سهل لا رموز فيه ولا الغاز، ورسول ا (ﷺ) قد ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فكل من حاد عن هذه السبل، فإنما أعرض عن الصراط المستقيم وتفرقت به السبل حتى خرج عن كل طريق من طرق الإسلام أو من الطريق التـي تـشبه أن تتصل بالإسلام ممن وصفهم الكاتب بقوله: " بل صارت أحكام القرآن في رأي أصحابها غيـر واجبة الاتباع". ومن ذهب هذا المذهب أو قريباً منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين ولا ينـسب قوله إلى اقوال أهل الإسلام[(٢)].

---

(١) الدائرة ج ٤ / ص ٥٢٣

(٢) انظر: أحمد شاكر على مادة التأويل في الدائرة ج٤ / ص ٥٢٤

وهذا التأويل – أعني الرمزي – يمكن القول بأنها تسربت إلى المسلمين من عقائد وفرق ضالة، فتمسك بعض من هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام لتلبية مطالبهم وأهوائهم الضالة أعاذنا ا منهم، وعلى ذلك فلا يمكن اعتبار هذا التفسير إسلامي الأصل والنشأة كما قال الكاتب.

ومن هذه الفرق، الامامية الإثنا عشرية، والباطنية الذين لا يمكن أن يكونوا داخلين في عداد طوائف المسلمين، وإنما هي في الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تقهر، وابصروا عزة المسلمين فتية لا تغلب ولا تكسر، فاشتعلت بين جوانبهم نار الحقد على الإسلام و المسلمين، ورأوا انه لا سبيل لهم إلى الغلبة على المسلمين بقوة الحديد والنار، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيشهم الزاخر الجرار، فسلكوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم، ليطفئوا نور ا بأفواههم، وخفي على هؤلاء الملاحدة أن ا متم نوره ولو كره الكافرون[1] وفي ذلك يقول الدكتور صبحي صالح:

أما التفاسير الباطنية، فليس فيها إلا التأويلات الفاسدة المغالطة للأصول الشرعية، وقواعد اللغة والتفاسير الباطنية اشد بعداً عن النسق القرآني من تفاسير التصوف والتفاسير الإشارية، وإن كانت تشترك جميعاً في مخالفة ظاهر القرآن واستلهام ما انزل ا بها من سلطان[2].

(١) التفسير والمفسرون ج ٣ / ص ٨٤

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٩٧.

المبحث الثاني

التفسير التحليلي ومصادره من خلال السور

لفظ سورة معناه ودلالته:

جاء في تعريف لفظ "سورة "في دائرة المعارف الإسلامية ما يلي:

" سورة: هو الاسم الذي سميت به فصول القرآن وفي القرآن نفسه تدل الكلمة على ما انزل على النبي محمد (ﷺ) من الوحي متفرقا من حين إلى حين، ومن ثم تحدى خصومه أن يأتوا بسورة ممن مثله أو بعشر سور مثله مفتريات" (١)

وفي فقرة لاحقة قال: " ويذهب نولدكه إلى أن – سورة - هي الكلمة العبرية الحديثة – شورا – ومعناها الترتيب أو السلسلة"(٢)

هناك العديد من الكلمات التي ادعى المستشرقون بأنها غير عربية ككلمتي الإيمان و الصلاة حيث زعمت دائرة المعارف البريطانية أن الأولى عبرية وان الثانية آرامية، وكذلك كلمة قلم حيث ادعى أنها من اصل يوناني، وزعموا أن سدرة المنتهى التي وردت في سورة النجم من اصل لاتيني، وهذا يحملنا على الاستنتاج بان المصادر الغربية على اختلاف أقاليمها وأزمنتها تلقت هذه الأقوال عن مصدر واحد دون تحر عن الحقيقة أو بحث علمي قائم على خطوات منهجية(٣)

وإذا أردنا أن نحكم الرد على هذه الشبهة لا بد قبل ذلك أن نبين:

أن العرب حافظوا على لغتهم بكل ما منحوه من براعة وقوة، وذلك بالعناية بمفرداتها عناية تامة، وفي ذلك غاية وهدف عظيم وهو أن نرد على أولئك الذين يريدون أن يجردوا العربية من كثير من المعاني وكثير من الألفاظ كما ادعوا هنا " في معنى سورة " وغيرها كما أشرت قبل قليل وهناك غاية أخرى وهي أن لا يتسرب إلى العربية ما هو بعيد عنها وأجنبي منها(٤) وفي ذلك يقول عباس العقاد:

"فإذا التبس علينا أي كلمة من الكلمات فلم نعلم ظاهر الأمر أهي من الألفاظ الأصيلة أم

---

(١) الدائرة ج ١٢ / ص ٣٥٧

(٢) المرجع نفسه.

(٣) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص ٢٦، فضل عباس

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٧.

من الدخيل عليها فادينا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة، ونردها إلى حياة العـرب والـى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة، فلا يطول بنا العناء في الرجـوع بهـا إلـى اصـل معقول نطمئن به[١]

قيل مثلاً إن كلمة "القلم" مأخوذة من "كلموس" اليونانية، ولا يعزى الاستناد في هذا القـول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظـين وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين.

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة في اللغة العربية، فنرى أنهـا أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى، ونتقصى المادة فنعلم أنها لا تنقل بجملتها من لغة إلى لغة.

فمادة القاف والميم وما يتوسطها مطردة في الدلالة على الشق والقطع، ومنها " قحم، قرم، قسم، قصم، قضم، قطم، وقلم " وهي آخرها في ترتيب الأبجدية.

ونعود إلى الشيء الذي "يقلم" فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما تعلمه العرب ويتخذونه من لفظ أصيل في لغة العرب لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية[٢] وما ذكره الأستاذ العقاد – رحمه ا – منسجم مع المنهج العلمي المنطقي، وبذلك يمكننا أن نقف مع كلمة سورة هنا التـي ادعى أنها غير عربية وسنرى أنها عربية الأصالة والأصل.

وإذا رجعنا إلى التعريف – أعني تعريف سورة – الذي أورده صاحب المقال في الـدائرة فسنلاحظ أن هذا التعريف كغيره من التعريفات في دائرة المعارف الإسلامية هزيـل، ويزيـده هزلاً أن الكاتب لم يرجع إلى مصدر إسلامي أو إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معنى لفظة "سـورة "لغة واصطلاحاً – وهذا ديدنهم في كتاباتهم، فمرجعهم غالباً ما يكتبه قومهم من أمثالهم، حتى في هذه الأمور التي لا بد أن يرجعوا فيها إلى أصحاب الشان الذين هم أعلم وأدرى النـاس بهـا، وليس في ذلك اتباع للمنهج العلمي الصحيح، فكلمة "سورة " خرجت في المعاجم اللغوية لا سيما الكبرى منها، وفي التفاسير الكبيرة ذوات المقدمات المفردة في علوم القـرآن كـالطبري الـذي وصف بأنه المؤرخ العظيم تحت لفظة "التفسير" ففي مقدمة الطبري يقول: " هناك قـولان فـي اشتقاق السورة ومعناها:

الأول : أنها بغير همز ومعناها المنزلة العالية الرفيعة، مشتقة من السور وهـو الجـدة والعلـو

(١) اللغة الشاعرة، ص ٣٠ – ٣٨.
(٢) المرجع نفسه.

والارتفاع وهو الأرجح[١] والذي يرجحه أيضا أن مادة السين والواو والراء تدل علـى العلو والارتفاع قال ابن فارس:"السين والواو والراء أصل يدل على علو وارتفاع ومن ذلك سار يسور، إذا غضب وثار، وإن لغضبه لسورة، والسور جمع سورة وهـي كـل منزلة من البناء، قال:

ورب ذي سرادق محجور　　سرت إليه في أعلي السور[٢]

ومنه سور المدينة، حائطها الذي يحيط بها، وهو مرتفع عليها وسورة القرآن تضم آياتهـا فيها، كما يضم السور بيت المدينة.

قال النابغة الذبياني:

ألم تر أن ا　أعطاك سورة　　ترى كلّ ملك دونها يذبذب

أي أن ا　أعطاك منزلة رفيعة من الشرف قصرت عنها منازل الملوك الآخرين.

الثاني: أنها بهمز، مشتقة من السؤر وهو القطعة الباقية من الشيء، وسؤر الرجل، هـو البقيـة الباقية من الماء في الإناء بعد شربه منه، وهذا بعيد.

وسميت السورة بذلك باعتبارها قطعة من القرآن خصصت عن غيرها وأبقيت وحدها..

ثم قال صاحب الدائرة: "ومن ثم تحدى خصومه أن يأتوا بسورة من مثله " سورة البقـرة رقم ٢١ "، رقم هذه الآية ليس صحيحا فرقم الآية جاء في القرآن الكريم رقم " ٢٣ " في سورة البقرة، و في سورة يونس جاء رقم الآية "٣٨" وليس "٣٩"، وفي سورة هود جاء رقـم الآيـة "١٣" وليس "١٦"، وفي سورة التوبة الآية رقم "٦٤" وليس "٦٥" وهذا إن دل على شيء فإنمـا يدل على عدم دقة القوم وموضوعيتهم في النقل والتوثيق، إذ إن الآيات القرآنية مـن الوضـوح والدقة ما يستحيل على عاقل أن يخطئ في تحديد أي آية منه، فكيف مع وجود المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؟!!

ثم قال بعد ذلك: "ونجد الآيـة التاليـة عنوانـا لـسورة – يقـصد – (سـورة أنزلناهـا وفرضناها..).." كلمة عنوان هنا لا ادري مراد الكاتب منها، فهل هو قصد أن مقدمـة الـسورة هذه الآية، أو أنها أول الكلام وفاتحته ؟؟ أم...؟؟ والذي يظهر أنه أراد أن يشير إلى أن سـورة النور افتتحت بكلمة سورة.

---

(١) تفسير الطبري ج١ / ص ٥١ وما بعدها

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ج ٣ / ص ١١٥

ثم يتابع الكاتب قوله عن لفظة سورة: " والكلمة من حيث المضمون تقترن بكلمة قرآن بمعناها الأصلي، ولكنهما أصبحتا منفصلتين في الاستعمال من بعد، فقد غدا القرآن اسما على الوحي المجموع في كتاب، على حين استعملت السورة للدلالة على فصول الكتاب الكريم الذي كان يضم في الأصل كل وحي على حده، ثم جمع فيه كل ما نزل من الوحي"(١).

هذه العبارة من اقتران القرآن بلفظة سورة من حيث المضمون ثم انفصالهما عن بعض، عبارة في غاية الغموض وعدم التحري والدقة في نقل الأفكار والمعاني، فمتى كان زمن اقترانهما ومتى كان زمن انفصالهما، وهذا الكلام لا أصل له من الصحة ولم يقل به أي عالم من علماء المسلمين، وهم بذلك يطيلون الكلام في البحث عن أصلها ومعناها، ومن أين جاءت، كيف أتى بها النبي (ﷺ)، فيقول الكاتب: " أما من أين أتى النبي (ﷺ) بهذه الكلمة فأمر لا يزال غير ثابت على الرغم من المحاولات التي بذلت لتتبع اصلها.. ويذهب " نولدكه " إلى أن (سورة) هي الكلمة العبرية الحديثة (شورا) ومعناها الترتيب أو السلسلة ولو قد أمكن تفسيرها بأنها " السطر " لما قادنا ذلك إلى المعنى الأصلي للكلمة، ويعترضه هذا الرأي أن السورة الواحدة كما جاء في الآية الأولى في سورة النور تحتوي عدة آيات، وربما كانت الكلمة ترتبط بتصور النبي (ﷺ) لكتاب في الجنة (الكتاب).. نزلت عليه محتوياته متفرقة، ويجوز أن تدل على القطعة أو الجزء أو شيء من هذا القبيل وهو مدلول معقول قد يفسر لنا أيضا استعمالها المتأخر".(٢)

إننا نلاحظ في كلام الكاتب هذا التخبط والاضطراب في عرض الأفكار، وعدم تسلسلها فلم يتبع منهجاً علمياً صحيحاً ارتكز عليه الكاتب من البداية إلى النهاية. وهذا ما كان ملاحظا دائما في أغلب كلام الدائرة.

وقول الكاتب: "ويجوز أن تدل على القطعة أو الجزء أو شيء من هذا القبيل مدلول معقول قد يفسر لنا أيضا استعمالها المتأخر على أننا لا نستطيع أن نثبت هذا الرأي من الناحية اللغوية".

يقول استعمالها المتأخر، وهل كان لهذه اللفظة استعمال متقدم ثم إن كان ما هو الاستعمال المتقدم لها، لا نعرف شيئاً من هذا!

ثم ما الذي رجع إليه حتى يستطيع أن يثبت ذلك من الناحية اللغوية أم لا، هذا ديدن القوم فهم يحاولون تشتيت أذهان الناس ويكتبون بشكل عام ولا يرجعون إلى أمهات الكتب التي يجد

(١) الدائرة ج٢ / ص ٣٥٧
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ١٢ / ص ٣٥٧

فيها الباحث عن الحقيقة ضالته، ولكن كما أسلفنا القوم لم يرجعوا إلى المعاجم ولا إلى المؤلفات التي فصل الكلام فيها حول لفظة (سورة) وما هو متعلق بسور القرآن الكريم وترتيبه وغير ذلك مما يرتبط بهذا الكتاب من علوم كلها متصلة ببعضها البعض.

ثم يقول الكاتب: "والقرآن المعتمد يحتوي على (١١٤) سورة والسورة الأولى الفاتحة"(١)

وهل يوجد قرآن غير معتمد، لعل القوم أخذوا هذه اللفظة من استخدامهم للإنجيل، الإنجيل المعتمد وغير المعتمد. وفرق شاسع بين هذا الكتاب العظيم الذي تكفل ا بحفظه إلى يوم الدين وبين هذه الكتب التي لم تسلم من عبث العابثين، وحرفت وبدلت ولم يبق فيها إلا الهوى والشيطان، وهم بذلك يحاولون مساواتها مع هذه المعجزة الخالدة إلى يوم الدين، ويلمس من هذه الجملة شيء من الشك في حقيقة صحة هذا الكتاب ودليل ذلك من كلامهم حيث يقول الكاتب: "والسورتان الأخيرتان ليستا إلا استعاذة ترتبط ببقية السور استهلالا وخاتمة ارتباطا واهنا"(٢).

ويدال على ذلك بقوله: "وهذا يتفق وما يقال من أنها لم ترد في نسخة القرآن التي جمعها ابن مسعود، وقد كان ثمة شيء من التسهيل في جمعه أول الأمر، مثال ذلك أن أبيا زاد سورتين على السور المجمع عليها، وكذلك لم يحدد ترتيب السور تحديدا دقيقا ولو أننا نلاحظ أن النسخ المختلفة قد أخذت قاعدة واحدة في الترتيب"(٣).

والناظر في هذه العبارات سيلاحظ قضيتين خطيرتين:

أولاً: القضية الأولى: حول سور القرآن الكريم:

إذ أن الكاتب بعبارته التي تقدمت حول السورتين الأخيرتين من القرآن الكريم ، كأنه ينكر وجود أي قيمة عظيمة لهاتين السورتين تستمد من قيمة ومكانة جميع سور هذا الكتاب الذي لم يحفظ كتاب كما حفظ، ولم يخدم كتاب على وجه الخليقة كما خدم هذا الحق المبين، هذا البيان الذي اعجز الخلق ولا يزال إلى يوم الدين، هذا الكتاب الذي اخرج من دفائنه وأسراره ما حير اكبر العلماء وابلغ البلغاء. هذا الذي اقسم رب العباد بالتكفل بحفظه إلى يوم الميعاد، إذ قال عز من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر آية ٩)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ

(١) الدائرة ج ١٢ / ص ٣٥٨
(٢) الدائرة ج ١٢ / ص ٣٥٨
(٣) المرجع نفسه.

فَصۡلٞ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾ (سورة الطارق آيـات ١٣ – ١٧).

وان كانت جاهلية القرن العشرين قد وصفته بالهزل، فجاهلية أهل مكة قد وصفته بالسحر والكهانة وبالهزل أيضا، فلم يؤثر ذلك على عظمة مكانته بل على العكس قد زاده رفعة وشـرفاً وعظمة، واهتماما ومعرفة، ورد ا كيدهم في نحورهم خائبين وهذا مصير كل من تـسول لـه نفسه الادعاء على هذا الكتاب العظيم، ووصفه بشيء من ذلك.

ثم إذا نظرنا في هاتين السورتين وحاولنا تفهم معانيهما، ومدى جمال سياق الكلام والبيان فيهما، وما جاء في هاتين السورتين من أخبار صحيحة عن فضائلها لنطقت قلوبنـا وجوارحنـا مسبحة مهللة موحدة بقائل هذا الكلام البديع وهاكم بعض مما ورد من أخبار فيها:

أورد ابن كثير – رحمه ا – في تفسير المعوذتين[(١)].

"عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب إن ابن مـسعود لا يكتـب المعـوذتين فـي مصحفه، فقال: اشهد أن رسول ا (ﷺ) أن جبريل قال له: (قل أعوذ برب الفلق) فقالها، قـال: (قل أعوذ برب الناس) فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي (ﷺ).

ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن زر بن حبش قال: سالت أبـي بـن كعـب عـن المعوذتين فقلت: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحكها من المصحف، فقال: إني سالت رسول ا (ﷺ) فقال: قيل لي قل فقلت، فنحن نقول كما قال رسول ا (ﷺ).

وقال البخاري: عن زر قال: سالت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر إن أخاك ابـن مـسعود يقول كذا وكذا، فقال: إني سالت النبي (ﷺ) فقال: (قيل لي فقلت) فنحن نقول كما قال رسول ا (ﷺ)[(٢)].

فهذه الروايات المعتمدة عند علماء الشأن تدفع الوهم المنسوب لأبي من انه زاد سـورتين على السور المجمع عليها:

سورة الفلق:

أما عن مناسبة هاتين السورتين وارتباطهما ببقية السور فقد أشبع الحديث فيه صاحب نظم

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ /ص ٤٧٠
(٢) صحيح البخاري ٤٩٧٦

الدرر فقال:

مقصودها الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن واسمها ظاهر الدلالة على ذلك.

مناسبتها:

لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم بالهداية في قولـه تعـالى: "اهـدنا الـصراط المستقيم، وبالهداية التي هي شعار التائب في قوله تعالى: "هدى للمتقـين" وذلـك أول منـازل السائرين وختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، وتقرير الإخـلاص فيه كما يشعر به الأمر ب "قل" وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين فتم بذلك الدين، وانتهـى سير السالكين وختم الإخلاص المقرر لذلك بأنه تعالى لا كفء له، فتـوفرت الـدواعي علـى الانقطاع إليه والعكوف عليه، أمر بالتعوذ بـرب هـذا الـدين، موافقـة لـ ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ من شر ما يقدح فيه بضرر في الظاهر أو في الباطن، وبدأ بما يعم شياطين الإنـس والجن في الظاهر والباطن ثم اتبع بما يعم القبيلين ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صـلاح الظاهر، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر..".

اما سورة الناس:

فمقصودها الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن واسمها دال على ذلك لان الإنسان مطبوع على الشر، واكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعادة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فان الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الأنس فان أصله أناس، وهو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس فطابق حينئذ المسمى، ومقصود هذه السورة معاول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة ا ومعاداة الشيطان ببراعة النظام، وفذلكة الختام كما أن الفاتحة شاملة لـذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول والمثل بالممثول، وا المسؤول في تيسير السؤل أو تحقيق المأمول فانه الجواد ذو الطول، وبه يستعان وعليه التكلان[1].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبـراهيم بـن عمـر البقـاعي، ج ٢٢ /

ثم إن إشارة الكاتب هنا إلى سقوط المعوذتين من مصحف ابن مسعود وزيادتها في مصحف أبي ليس فقط المعوذتين إنما أشار أيضا إلى سورتي الفيل و"لإيلاف قريش" اللتان عدتا سورة واحدة في مصحفه أبي أننا لا نتهم (ويلش) بالجهل أو الغفلة هنا وإنما نتهمه أكثر بالتعصب وذلك لأنه أخذ كلامه فيما يخص مصحف أبي بن كعب من كتاب الإتقان للسيوطي واقتصر عليه دون تفنيد أو اعتبار للروايات الأخرى الأشد وثوقا من هذه الرواية التي احتج بها ليدال على شبهته.

أضف إلى ذلك أن الإمام السيوطي قد أورد هذا الخبر في الكتاب نفسه الذي اطلع عليه الكاتب (ويلش)، لكن السيوطي قد استشهد على رد خبر مصحف أبي بالحديث الذي أخرجه الطبراني من حديث أم هانئ، أن رسول ا (ﷺ) قال: "فضل ا قريشا بسبع: وفيه" أن ا انزل فيهم سورة قريش لم يذكر فيها معهم غيرهم – لإيلاف قريش- [(١)].

وهب أن واحداً من الصحابة فعل ذلك في مصحفه الذي كتبه لنفسه بخاصة فهل يكون فعله حجة على جميع الصحابة وخرقا لإجماعهم ؟!! إذ كانوا قد أجمعوا على اعتماد مصحف عثمان – رضي ا عنه – لا غير والذي فيه المعوذتان وسورتا الفيل و"لإيلاف قريش" كسورتين منفصلتين[(٢)].

ثانياً: القضية الثانية: فجاءت حول جمع القرآن والتدليل على عدم وجود هاتين السورتين:

وما أكثر الشبهات التي أثيرت حول جمع القرآن من قبل هؤلاء المستشرقين الذين يكيدون للإسلام والقران السموم وسهام الحقد والحسد والكراهية بأي طريقة وفي أي فرصة سنحت لهم فهم يحاولون دس سمومهم وحقدهم من خلال أي خبر يرد حول القرآن الكريم وسوره ليصلوا إلى مآربهم وأهدافهم حتى يشوهوا صورة الإسلام والقرآن.. ولكن ا لهم بالمرصاد فقد قيض لهذا الكتاب من يذود عنه، ويدافع عنه إلى يوم الدين، ولقد قام العلماء بالرد القاطع على ما أثير من شبهات حول جمع القرآن الكريم وهو مبسوط في الكتب والمؤلفات لعلماء أفذاذ دافعوا عن حياض هذا الدين بكل ما أوتوه من قوة فجزاهم ا عنا خير الجزاء.

يقول الكاتب هنا: "وهذا يتفق وما يقال من أنها لم ترد في نسخة القرآن التي جمعها ابن

ص٤٠٦-٤٠٧ - ٤٢٣، ط ١ – ١٤٠٤ه، ١٩٨٤، مكتبة ابن تيميه القاهرة.

(١) الإتقان، ج ١ / ص ١٨٦.

(٢) عمر أبو ليلى، ص ١٩٣.

مسعود وقد كان ثمة شيء من التسهيل في جمعه أول الأمر مثال ذلك أن أبيا زاد سورتين على السور المجمع عليها[١]".

ولقد أوردت الروايات في ذلك، وان أبياً – رضي الله عنه -. قال ما سمعه من رسول الله (ﷺ) فهو لم يزد على القرآن شيئاً، وهو براء من هذا الاتهام الباطل – رضي الله عنه – فكيف لصحابي جليل مثل أبي أن يزيد في القرآن الكريم شيء، ثم إن عمل ابن مسعود في عدم كتابته المعوذتين في مصحفه الخاص به، وكتابة أبي – رضي الله عنهما – للقنوت في آخر مصحفه الخاص به لا صلة لها بجمع القرآن الكريم بشيء.

فأبي وابن مسعود – رضي الله عنهما – لم يجمعا القرآن بل كتبا لأنفسهما مصحفا، وعملية الجمع إنما تمت بلجنة من الصحابة على عهد عثمان – رضي الله عنه – الذي جمع الأمة على مصحف واحد بالرسم العثماني.

والذي كان قبله جمع أبي بكر حيث كان جمعا لما في الصدور والسطور خوف ذهاب القرآن بذهاب حفظته أثناء المعارك – وكان لهذا الجمع الثاني – "عثمان" دقته في الجمع والتحري والاحتياط له. فليس عمل أبي ولا عمل ابن مسعود يسمى جمعاً للقرآن، وليس عجيباً أن يفوت واحد من الصحابة شيء من أمر القرآن أو القراءة أو الترتيب أو ما إلى ذلك وقبله لا يكون سبباً لشيء من الحكم على دقة جمع القرآن الكريم أو التساهل فيه مطلقاً لأن هناك إجماعاً، ونقلاً متواتراً.

ثالثاً: أما الملحوظة الأخرى التي أود أن أشير إليها في قول الكاتب، فيما يخص ترتيب سور القرآن الكريم.

فهو يقول: " وكذلك لم يحدد ترتيب السور تحديداً دقيقاً، ولو أننا نلاحظ أن النسخ المختلفة قد أخذت بقاعدة واحدة في الترتيب[٢]:

وهذه شبهة أثيرت حول ترتيب سور القرآن الكريم، والرد على هذه الشبهة كما يلي:

فكما هو مقرر بوضوح في شأن ترتيب الآيات في السور انه توقيفي ولم يرد خلاف حول ترتيب الآيات في السور إنما ورد الخلاف حول ترتيب السور في المصحف كما هو عليه وقد ثبت أن ترتيب السور إنما هو أيضاً توقيفي كما رتبه الرسول (ﷺ) عن طريق الوحي عليه

---

(١) الدائرة ج١٢، ص٣٥٨.

(٢) المرجع نفسه.

السلام، وان ترتيب الآيات في السور وترتيب السور كما هو عليه إنما هو الترتيب الذي عليـه القرآن في اللوح المحفوظ، ولا مجال للاجتهاد في ذلك، ودليل ذلك النصوص المترادفة في كتب الحديث وهناك كثير من الشواهد التي تدل على ذلك، منها على سبيل المثال، ما أخرجه الإمـام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس، قال: قلت لعثمـان: مـا حملكم على أن عمدتم إلى سورة الانفال وهي من المثاني وإلى سورة البراءة وهي من المئـين فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينها سطر "بسم ا الرحمن الرحيم " فوضعتموها في السبع الطوال فمـا حملكم على ذلك؟ قال: كان رسول ا (ﷺ) مما يأت عليه الزمان وهو ينزل عليه مـن الـسور ذوات العدد فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له، فيقول ضعوا هذه فـي الـسورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا انزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. الحديث".

فقول النبي (ﷺ) : "ضعوا هذه الآيات في السور التي يذكر فيها كذا وكذا أو ضعوا آية كذا في موضع كذا، فيه اشارة إلى أنه (ﷺ) لم يكن يعرف اسم السورة وموقع الآية إلا بعد أن ألتيـه بها جبريل عليه السلام ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت من قبل وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة.

منها ما أخرجه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص، قال: "كنت جالسا عند رسـول ا (ﷺ) إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة " ان ا يامر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى.. " النحل إلـى آخرهـا "[1]. وجاءت الأحاديث الدالة على فضل آيات من سور بعينها، ويستلزم هذا ان يكون ترتيبها توقيفيا.. اذ لو جاز تغييرها لما صدقت عليها الأحاديث، عن أبي الدرداء مرفوعا: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال. وفي لفظ من قرأ عشر آيات من سورة الكهف[2]، كمـا جاءت الأحاديث الدالة على فضل آية بعينها في موضعها، عن عمر قال: "ما سألت النبـي (ﷺ) عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري، وقال: " تكفيك آية الصيف التي في اخره سورة النساء[3]".

---

(١) أخرجه أحمد باسناد حسن، ج٤، ص٢١٨، حديث ١٧٩٤٧.
(٢) صحيح مسلم باب فضل سورة الكهف ج١/ ص٥٥٥، حديث رقم (٨٩)، طبعة فؤاد محمد عبد الباقي.
(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، مج١،

وثبتت قراءة الرسول (ﷺ) لسور عديدة بترتيب آياتها في الصلاة، أو في خطبة الجمعـة، كسورة البقرة وآل عمران والنساء وصح أنه قرأ " الأعراف في المغرب وأنه كـان يقـرأ فـي صبح الجمعة، آلم، تنزيل الكتاب لا ريب فيه: السجدة، و"هل أتى على الإنسان، الـدهر "وكـان يقرأ سورة " ق~ " في الخطبة، ويقرأ الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة[١].

وكما هو معلوم كان جبريل يعارض النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن في كل عام مرة في رمضان، وعارضه في العام الاخير من حياته مرتين، وكان ذلك العـرض علـى الترتيـب المعروف الآن، وعلمه بعض الصحابة بهذا الترتيب لكن بعضهم كـانوا قـد كتبـوا لأنفـسهم مصاحف التزموا فيها بترتيب النزول كالإمام علي، إذ إن مصحفه يحتوي على الترتيب التـالي: إقرأ، ثم المدثر، ثم المزمل وهكذا.، وقع هذا من علي وغيره قبل ان يعرف الترتيـب التـوقيفي الذي جمع عليه عثمان رضي ا عنه القرآن، ولما جمع عثمان القرآن الكريم بترتيـب الآيـات والسور على حرف واحد واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهاديا لتمسكوا بها[٢]. قال ابن الحصار: "ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحي"، وقال الكرماني: "ترتيب السور هكذا هو من عند ا في اللوح المحفوظ على هـذا الترتيـب[٣]. ومن مؤكدات ذلك تحدي القرآن الكريم للكفار أن يأتوا بسورة من مثله أو بعشر سور مفتريات، وهذا في حد ذاته يفيد تحديد السور وترتيبها أيضاً[٤] ودلل السيوطي على أن ترتيب كان توفيقـاً بطريقة عقلية، فقال: "ومما يدل على أنه" أي القرآن "توقيفي كون الحواميم رتبـت ولاء، وكـذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، وفصل بين (طسم) الشعراء و(طسم) بـ (طس) مع أنهـا أقصر منها ولو كان الترتبي اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت "طس" "هي سورة النمـل" عن القصص، وهذا يعني أن جميع السور ترتيبها تـوقيفي إلا بـراءة والانفـال واليـه مـال السيوطي[٥] وأنا أميل إلى رأي الجمهور بأن ترتيب جميع سور القرآن توقيفي للأحاديث للادلـة التي سقتها سابقا، وحديث أوس بن حذيفة في تحزيب القرآن يثبت ذلك، حيـث قـال أوس بـن حذيفة: "قدمنا على رسول ا (ﷺ) في وفد ثقيف وفي الحديث أن النبي عليه الـصلاة والـسلام قال: "وأنه طرأ علي حزبي من القرآن الكريم فكرهت أن أجيء حتى اتمه، قـال أوس: فـسألت

ص٣٩٦، حديث رقم ٥٦٧.

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص١٤٠.

(٢) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ص ١٤٤.

(٣) السيوطي ج ١ / ص ٢٠٨، البرهان ج ١ / ص 255.

(٤) أبو ليلة ص ٢١٠.

(5) السيوطي: الاتقان ج١ / ص ٢٠٣

أصحاب النبي (ﷺ) كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس، وسبع وتسع، واحـدى عـشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده[١].

وقد وردت آثار أخرى بتعزيز هذه المسالة، فقد روى الإمام مـسلم قـول النبـي (ﷺ): " اقرءوا الزهراوين البقرة وال عمران"[٢]

وعن ابن مسعود – رضي ا عنه – قال: " بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبيـاء هن العتاق الأول وهن من تلادي[٣]" العتاق: أي ذخائري وعتادي، حيث ذكر النبي (ﷺ) وسـم هذه السور نسقا واحدا كما هي في ترتيب المصحف.

ومما يستأنس به أن ترتيب السور أحد روافد إعجاز القرآن لذا وجدنا العلماء – رحمهـم ا – يتحدثون عند تفسير أي سورة عن مناسبتها لما قبلها وكثير منهم يأتي ببديع من القول[٤]، ومن العلماء من أفرد مؤلفات في ذلك كما اشرنا سابقا[٥].

وقد رأيت من المناسب نقل الشبهة وردها لصاحب كتاب المباني:

" فان قيل: كيف صح قولكم ان القرآن مرتب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيـب؟ وإن الصحابة لم يرتبوه بأنفسهم، وقد انتشرت الأخبار أن أول ما نزل علـى النبـي (ﷺ) (س ٩٦) ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وقوله " س٧٤ " ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ، وقالوا: اننا وجدنا مصاحفا عتقا مفرقة في البلاد منسوبة إلى عبد ا بن مسعود على خلاف هذا الترتيب الذي في أيدينا، فكيف يجـوز مع هذا الخلاف الظاهر ان يدعى ان هذا الترتيب متفق عليه.

قلنا: انه قد روينا فيما تقدم عن ابن عباس انه قال: " في قوله تعالى: " س ٩٧ آية ١ " " ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾."يعني ان ا عز وجل أنزله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كـان ينـزل منها نجوما السورة بعد السورة، والاية بعد الآية على حسب الحاجة إليه وإلى معرفة أحكامـه، وتعليمه وترتيبه، ومعرفة موضع كلماته وسوره. ومثال هذا في الشاهد أن تعلم المبتدئ بتلقيـه من أول القرآن وربما يبتدأ من آخره، وقد يبتدا من وسطه سوراً متفرقة من القرآن على حسب

(١) رواه أبو داود، باب تحزيب القرآن، ج٢/ص٥٥، حديث رقم ١٣٩٣..
(٢) صحيح مسلم " كتاب صلاة المسافرين.
(٣) رواه البخاري كتاب التفسير، تفسير سورة الاسراء، ج١٧٤١/٤، حديث رقم (٤٤٣١).
(٤) اتقان البرهان فضل عباس ج ١ / ص ٤٥٣
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

رغبة المبتدئ وحرصه واحتياجه إلى تعلمه، ثم لا تأمره بأن يحفظ على هذا الترتيب الذي لقنه، بل تأمره بان يضع كل سورة منها في موضعها عند الحفظ والجمع والدراسة والتلاوة، كذلك كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي (ﷺ) الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة على حسب الحاجة كما تقدم عن ابن عباس وأبي بن كعب. يدل هذا الذي ذكرنا ان مصاحفا كثيرة قد وجدت وهي متفقة غير مختلفة بحمد ا ومنّه..

وقد روي عن محمد بن كعب القرظي، قال: "رأيت مصاحفا ثلاثاً، مصحفاً فيه قراءة ابن مسعود، ومصحفا فيه قراءة أبي، ومصحفا فيه قراءة زيد، فلم يخالف بعضها بعضا، وهذه الحجج كلها نيرة دالة على صحة ما أنبأنا عنه، وبطلان ما ادعاه علينا المخالفون المعاندون.

ثم يتصدى الشيخ لدعوى مخالفة مصحف أبي بقوله: "إن هذا ربما كان بفعل فساق المسلمين الذين ربما كتبوا هذه المصاحف وقدموها إلى الرؤساء والكبار المولعين بكل غريب وذلك بغرض التوصل إلى مآلهم والانتفاع بتقريبهم اياهم"[1]

وإن كان المقرر في ترتيب السور هو ما سمعناه من تركه للاجتهاد وتفويض أمره للأمة فهل يوقف بعد هذا عند تحديد الترتيب تحديدا دقيقا!! على أن الكاتب لا يلبث يتبع هذا بقوله: "ولو أننا نلاحظ أن النسخ المختلفة قد أخذت بقاعدة واحدة في الترتيب، وهو كلام يتبين من المراجعة القريبة لترتيب مصاحف بعض الصحابة الذي نقل إلينا انه ليس أخذا بقاعدة، بل إن القول بالقاعدة في هذا الترتيب قول غير دقيق، وإنما الذي قالوه: أن كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها في حياة النبي (ﷺ) كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصل، وان ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده))[2].

ولترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على انه توقيفي صادر عن حكم، أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى، وأول البقرة، وثالثها: للوزن في اللفظ، كآخر " تبت" وأول الإخلاص، ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل "والضحى"، و "ألم نشرح"[3].

ثم إن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان تنزيله كما هو عليه الآن. فلو قلنا

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن وهما كقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية ص ١٧٤، ص٤٦ - ٤٧، نشرهما من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحها وطبعها الاستاذ المستشرق الدكتور ارثر جفري، الناشر مكتبة الخانجي مصر ١٩٥٤م

(٢) تعليق أمين الخولي على مادة سورة ١٠ / ص ٣٥٩

(٣) الزركشي ج ١ / ص ٢٦٠

بالاجتهاد، فما هو الميزان الذي رتب عليه القرآن؟! وبناءا على ما تقرر لدينا يمكن أن نثبت كما رجح بعض العلماء إلى أن ترتيب سور القرآن لم يكن اجتهاديا، بل توقيفيا، لا دخل للعقـل ولا للمنهجية البشرية فيه، فللقرآن منهج ونسق خاص به، بل يمكن القول بأن هذا الترتيب المعجـز لسور القرآن الكريم يعتبر من قبيل المتشابه الذي يحتاج إلى إعمال الذهن للتوصل إلى العلاقات التي تجمع بين أجزاء القرآن الكريم من أوله إلى آخره والتي تبدو غير واضحة أحيانا، ليس في القرآن الكريم خلل البتة ولا عوج ولا اختلاف أبدا لا في ترتيب السور ولا في ترتيب الآيات[١].

أولاً: سورة الفاتحة:

ورد الكلام عن سورة الفاتحة في موجز دائرة المعارف تحت مادة "فاتحة":

ذلك أن دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للغة العربية الموجودة في المكتبات غير كاملة والأجزاء الموجودة فقط ستة عشر جزءا وتنتهي عند حرف العين، وهذا المـوجز الـذي هـو اختصار لدائرة المعارف الإسلامية مكون من (٣٠) جزء متوسط الحجم وينتهي عنـد حـرف النون.

وهذا نص ما جاء في الموجز: "أول سورة في القرآن الحكيم وأيسرها، ويعني اسمها أنها فاتحة القرآن الكريم ولهذه السورة القصيرة التي هي سبع آيات، عدة سمات خاصة بها، فهي أول الكتاب العظيم، بينما كل قصار السور في آخره، وهي في صيغة دعاء، وسائر السور في صيغة نصح وإرشاد، أو لوم أو توبيخ، وتعقب تلاوتها بكلمة "آمين"[٢].

فقوله أول سورة في القرآن الكريم هذا من حيث ترتيبها في المصحف الشريف، أما مـن حيث نزولها فقد ترجح لدى العلماء أنها أول سورة كاملة نزلت وليست أول القرآن نزولا ولعل هذا ما قصده الكاتب بقوله: "وقد قيل أن هذه السورة هي أقدم سور القرآن أو واحدة مـن أقـدم سور القرآن "وقد سميت بأم القرآن لأنها متقدمة على باقي السور في الكتابـة والقـراءة وتلـك السور توابع لها فكأنها لباقي السور أم وإمام.

ثم قوله: "وهي في صيغة دعاء، وسائر السور في صيغة نصح وإرشاد أو لوم وتـوبيخ." هذا قول يعوزه الدقة.

ذلك أن فاتحة الكتاب لم تشتمل على أدعية فحسب، والمتأمل في السورة الكريمة لا يجدها

(١) القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي، دراسة نقدية تحليلية:محمد أبو ليلة ص ١٩٥
(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ج ٢٣ / ص ٧١٧ وما بعدها

كما قالوا: "فهي اشتملت على المعاني التي في القرآن من الثناء على ا   بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد[1].

"ففي بداية السورة ذكر ا   والثناء عليه (الحمد   رب العالمين) فهو يستحق الحمد لأنـه رب العالمين، أي المربي لهذه الكائنات جميعا، جمادها وحيوانها، علويهـا وسـفليها، أرضـيها وسماويها، وذلك بما يفيض عليها من رحمته.. ثم (الرحمن الرحيم) وكما له الشان في هذه

الحياة فهو المتصرف كذلك يوم الدين، يوم الجزاء الأخروي، (ملك يوم الدين) لذا فان

أحداً غيره لا يستحق أن يعبد، وأن أحداً غيره لا يستحق أن يستعان به لذلك قـال: ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى غير ما هنالك من أسرار وأحكام وقيم يمكن أن تؤخذ من ألفاظ الآيات

أو من ضم بعضها إلى بعض، وبعد هذه المعاني جميعا يـأتي دور الـدعاء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الفاتحة)[2]

أما سائر السور فلم تأت فقط في صيغة نصح وإرشاد أو لوم وتوبيخ، بل منها مـا جـاء مفصلاً ومبيناً وشارحاً لأحكام الإسلام من عبادات ومعاملات وأخلاق ومنها ما جاء في صـيغة دعاء، ومنها ما كان في صيغة ترغيب وترهيب، ترغيب بالجنة ورضى ا ، وترهيب من النار وعصيان ا   عز وجل. إلى غير ذلك من الموضوعات التي جاءت الآيـات القرآنيـة تعالجهـا وتبين الحكم الشرعي فيها، فكل شيء يعرض للإنسان في حياته إلا وفي القرآن الكريم له حـل وعلاج فسبحان منزل هذا الكتاب الذي جعل الدواء من كل عضال جسمي أو نفسي فـي هـذا المعجزة الخالدة، فسبحانك يا رحمان، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء آية ٨٢).

وسورة البقرة مثلا تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها، وسـورة الفاتحـة تضمنت الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهوديـة فـالبقرة

(١) الكشاف: الزمخشري ١ / ص ٨١
(٢) فضل عباس: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص ٣٥.

بمنزلة إقامة الدليل على الحكم الشرعي وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه من غيره بظهور الحجة والبيان.

وسورة النساء فتضمنت جميع أحكام الأسباب التـي بـين النـاس كالنـسب والـصهر والعهود..وما يتعلق بأحكام الأموال والفروج والمواريث.

والأسباب هذه نوعان: مخلوقة تعالى، ومعذورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحهـا ا تعالى بقوله: ﴿ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (النساء ١). ثم قـال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ، وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بيـنهم، وما تعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والمواريث ومنها العهود التي حـصلت بالرسـالة، والتي أخذها ا على الرسل[1].

والمائدة سورة العقود، وتحريم الخمر و تحريم الميتة والدم والمنخنقة والصيد على المحرم وإحلال الطيبات وما يختص بالشريعة المحمدية كالوضوء والحكم بالقرآن الكريم[2].

ثم يتابع الكاتب قوله فيما يتعلق بسورة الفاتحة ويورد تفنيد (نولدكه) فيما يخص صفات ا تعالى، بقوله: "وقد فند (نولدكه) الرأي القائل أن بها تعبيرات لا توجد في سور الفترة الأولـى، وبخاصة بعض صفات ا عز وجل مثل "الرحمن الرحيم"، التي تظهر لأول مرة ومع ذلك فان سورة الفاتحة قديمة نسبيا، ويجب أن توضع في نهاية الفترة المكية الأولى".

أقول موضوع السورة من الموضوعات التي تركز عليها الموسوعة، وهذا ناشـئ عـن الروح العامة للمستشرقين وللكنيسة على السواء، فهناك غاية تبذل لها كل المحـاولات لتكـون قناعة عند الآخرين، وهي أن موضوعات السور الأولى يختلف على موضوع السور الأخيـرة، وان صفات ا في سورة الفاتحة مثل " الرحمن الرحيم "تظهر لأول مرة، فهذا يدل على جهالة القوم بالموضوعات التي عالجها القرآن الكريم في الفترة المكية، وهذه الموضوعات كانت تعالج أهم ما جاء به الرسول (ﷺ) وهي التعريف با عز وجل وصفاته سبحانه وتعالى، إذ كانت هذه من أهم الأمور التي تعرض لها القرآن الكريم في الفترة الأولى، فدعوى الكاتب أن صفات ا "الرحمن الرحيم" تظهر لأول مرة هذه دعوى باطلة ولا دليل عليها، ذلك أن هـاتين الـصفتين

(١) الزركشي ص ٣٢٩.
(٢) المرجع نفسه.

وردتا في البسملة، والبسملة كما هو معلوم هي عضو حي وحيوي من القرآن الكريم وهي من ميزاته وهي العلامة التي كان يعرف النبي (ﷺ) من خلالها أول السورة[1] وسورة الفاتحة كما أشرنا قد عدها العلماء من أوائل السور نزولا، لعل هذا ما قصده الكاتب بقوله: "قديمة نسبياً"، لكن قوله "يجب" أن توضع في نهاية الفترة المكية، ليس له حق في ذلك أن يوجب وينهى، فهذا ليس عمله إنما هو ما أجمعت عليه الأمة، وما نقل إليها عن رسول الله (ﷺ)، أن توضع في موضعها كما هي عليه، وليس لنا أن نعترض على ذلك، لأن في وضعها في المكان الذي وضعت فيه له سر وحكمة وغاية عظيمة.

قال ابن عباس، وموسى بن جعفر، عن أبيه، وعلي بن الحسين، و قتادة، وأبو العالية، ومحمد بن يحيى بن حيان: "إنها مكية ويؤيد هذا أن في سورة الحجر قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ (سورة الحجر آية ٨٧) والحجر مكية بإجماع، نزلت بعد الفاتحة بمدة، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان في مكة وما حفظ انه كانت قط في الإسلام صلاة بغير الفاتحة (الحمد لله رب العالمين).[2]

قال ابن حجر: " الجمهور على أن الفاتحة مكية ووجه الدلالة انه سبحانه امتن على رسوله (ﷺ) بها وسورة الحجر مكية فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها"[3]

ثانياً: سورة التوبة:

جاء الحديث عن سورة التوبة في دائرة المعارف تحت لفظة " براءة " حيث يقول الكاتب: "وقد وردت هذه الكلمة بآية في صدر سورة براءة، وفيها يأمر الله المؤمنين على لسان نبيه بالحج ورعاية العهد في الأشهر الحرم.. وهذه الآية ليست واضحة تمام الوضوح مما جعل تفسيرها عسيرا بعض الشيء، والتفسير السهل الذي يتبادر إلى الذهن عند القراءة الأولى هو أنه: يجب على كل مسلم أن لا يسيء إلى أخيه في الدين إبان الأشهر الحرم المخصصة للحج إلى مكة.. ومع ذلك فإن هذا التفسير لا يسلم به أئمة المفسرين، فالزمخشري يقول: انه كان هناك عهد بين المسلمين وبين مشركي مكة وغيرهم من العرب، ثم إن المشركين نقضوا هذا العهد إلا أن أناسا منهم هم بنو ضمرة و بنو كنانة، فقرأ محمد على المؤمنين الآية التي نزلت

(١) محمد أبو ليلة مرجع سابق ص ٢٠٩
(٢) ابن عطية الأندلسي: ج ١ / ص ٩٦
(٣) فتح الباري ج ٨ / ص ٩

وهي "براءة من ا   ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين"[١]

والمتأمل في كلام هذا الكاتب يلاحظ عدة ملاحظات:

أولها: ذكر أن هذه الآية كانت في صدر سورة التوبة والحق أنهـا أول آيـة فـي سورة التوبة[٢].

ثانيها: مناسبة نزول هذه الآية..

أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع، عام حج أبي بكر، قال الإمام البخاري:فيما يرويه عن أبي هريرة – رضي ا   عنه – قال: "بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بـن عبد الرحمن: ثم أردف رسول ا   (ﷺ) بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، قـال أبـو هريرة فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان"[٣]

فكما جاء في الحديث، نزلت على رسول ا   (ﷺ) لما رجع من غزوة تبوك وهم بـالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيـت عراة فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج تلك السنة ليقم للنـاس مناسـكهم ويعلم المشركين، أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادي في الناس بقوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (التوبة، ١) فلما قفل اتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغـا عن رسول ا   (ﷺ) لكونه عصبة له.

ثالثها: ما جاء في تفسير هذه الآية:

"براءة من ا   ورسوله."أي هذه براءة أي تبرؤ من ا   ورسوله" إلى الذين عاهـدتم مـن المشركين " اختلف المفسرون ههنا اختلافاً كثيراً فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهـود المطلقـة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة اشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فنأجله إلـى مدتـه،

---

(١) الدائرة، المعارف الإسلامية ج ٣ / ص ٤٨١

(٢) ولعل هذا اللبس حصل من المترجم وليس من الكاتب لأن القضية واضحة وضوح الشمس

(٣) فتح الباري ج ٨ / ص ١٦٨، صحيح مسلم باب لا يحج البيت مشرك ولا يطـوف فـي البيـت عريـان، ج٢/ص٩٨٢، حديث رقم ١٣٤٧،.

وهذا أحسن الأقوال وأقواها"[1].

فهذا هو التفسير السهل الصحيح وليس كما ذكر الكاتب " هو أنه يجب على كل مسلم ألا يسيء إلى أخيه في الدين إبان الأشهر الحرم المخصصة للحج إلى مكة ".. فهذا تفسير هزيل غير واضح لا أصل له من الصحة، كما نلاحظ في الآية الكريمة أنها واضحة تمام الوضوح، فهل بعد هذا الوضوح وضوح في كتاب رب العالمين، أين الصعوبة وأين العسر في تفسيرها.ليس في القرآن الكريم شيء يصعب فهمه على ذوي الألباب.هذا الكتاب الذي جاء لكل العباد، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، عالمهم وجاهلهم، حتى الأمي منهم يفهم كلام ا .. وإلا لو كان صعبا غير واضح كما تدعون لما تمكن الطفل الصغير ذو الخامسة من عمره إتقان حفظه عن ظهر قلب. وهذا سر من أسرار إعجازه فسبحان، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ (الرحمن ١ – ٤).

سورة الإسراء

قول الكاتب في دائرة المعارف الإسلامية حول تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء هو كما يلي:

" ومهما يكن من شيء فإننا نلاحظ أن الروايات فسرت هذه الآية على ثلاثة أوجه فحسب:

١- تذهب أقدم هذه الروايات، وقد اختفت من التفاسير الحديثة، إلى أن هذه الآية تشير إلى صعود محمد (ﷺ) إلى السماء، وأهم ما في الروايات هو أنها احتفظت بالمعنى البدائي لقصة الصعود التي صورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية وهذا القول يفسر عبارة (المسجد الأقصى) بالسماء، وفي الحق أن الرواية القديمة تستعمل في كثير من الأحيان كلمة (إسراء) مرادفة لكلمة (المعراج) [2].

وقد رجع الكاتب في عباراته إلى المصادر التالية :

١– البخاري باب كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه

٢- مسلم

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٤٨٩-٤٩٠.

(٢) الدائرة ج٣، ص ٢٨٧

٣- الطبري التفسير

إضافة إلى مصادر أجنبية أخرى منها "Der Islam" وقد قمـت بـالرجوع إلـى جميـع المصادر العربية التي أشار إليها الكاتب واستخرجت الروايات التي وردت حول تفسير هذه الآية ودرستها فوجدت أن جميع هذه الروايات تشير إلى معجزة الإسراء والمعراج وأن النبي أخبـر بأنه قد أسري به ليلا من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس بواسطة جبريل عليه السلام على البراق وهذا نص الرواية التي أشار إليها الكاتب.

(في صحيح البخاري باب كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه) قال الإمام البخـاري رحمـه ا : حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي عن سليمان عن شريك عن عبد ا بن أبي العـز قـال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي (ﷺ) من مسجد الكعبة، جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو ؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم وقـال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فمن يرى قلبه والنبـي (ﷺ) نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء"[1] ولقد أورد الإمام البخاري عدة روايات في حادثة الإسراء والمعراج فـي أكثـر مـن موضع (أوردها في كتاب التفسير، بـاب قولـه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الإسراء: ١(كتاب فضائل الصحابة، باب المعـراج) فـي صـحيحه، وروت قـصة الإسراء والمعراج وما شاهده (ﷺ) في إسرائه ومعراجه في السماوات العلى، في كتاب الإيمـان كما أوردها أيضا الإمام مسلم.. باب الإسراء برسول ا (ﷺ) إلى السماوات وفرض الصلوات، بعدة روايات (أوردها الإمام مسلم في هذا الباب من حديث رقم "١٦٢- ١٧٨") بألفاظ متقاربـة. وهذا نص الرواية التي صدر بها الباب قال الإمام مسلم حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول ا (ﷺ) قال: "أتيت بالبراق وهو دابـة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال، فركبته حتى أتيـت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال، ثم دخلت المسجد فـصليت فيـه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمرٍ وإناءٍ من لبن، فاخترت اللبن فقال

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب كان النبي صلى ا عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه " (حديث رقـم "٣٥٦٩")...

جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء وذكر ما رآه في السماوات[(١)].

٣- رواية الطبري في تفسيره: فقد أورد روايات البخاري ومسلم وغيرهما من الروايات التي أوهمت أن الإسراء كان بروحه لا بجسده وأثبت بعد ذلك أن الإسراء بجسده لا بروحه فقط كما سيأتي بعد قليل. هذه الروايات ذكر الكاتب عليها عدة ملاحظات لا بد من الرد عليها:

أولها: "هذه الروايات قديمة وقد اختفت من التفاسير الحديثة"[(٢)]

الرد: أن الناظر في كتب التفاسير يلاحظ أن أغلب التفاسير تذكر هذه الروايات في تفسير هذه الآية.

ثم هل أحاديث رسول ا (ﷺ) الصحيحة المتواترة يمكن أن نصفها بالقدم، أو أنها تختفي؟! هذه الأحاديث التي نقلت إلينا بالتواتر وفسرت وشرحت الحادثة لا يمكن أن يستغني عنها أي مفسر سواء كان قديما أم حديثا لكتاب ا عز وجل لأنها هي التي أوضحت بالسند المتصل إلى رسول ا (ﷺ) حادثة الإسراء والمعراج وأزالت ما قد يعلق بأذهان الناس من أوهام حول هذه المعجزة التي أمد ا نبيه بها لتكون له دافعا وحافزا له على المضي قدما في طريق الدعوة الإسلامية، بعد أن لاقى ما لاقى من الأذى والتعذيب من أهل مكة والطائف وغيرهم، وهو يشق طريقه في نشر هذه الدعوة، وقد جاءت هذه الحادثة قي وقت عظم على النبي (ﷺ) ما لاقاه من أهل الأرض من الأذى والعذاب والهوان، فأخذته اليد الإلهية بهذه المعجزة، تكريما وتثبيتا له (ﷺ) وتجديدا لعزيمته، فقد شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد، وعاين من إمارات العناية الإلهية به وبدعوته ما زاده يقينا إلى يقين بإنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه، ونصرة على أعداءه، وأطلعه ا سبحانه من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ نفس رسول ا (ﷺ) رضى عن ا ، وقلبه نورا وطمأنينة، وصدره ثلجا وانشراحا فالتفاسير الحديثة لا يمكن لها أن تستغني عن مثل هذه الروايات الصحيحة التي لا سبيل إلى فهم الآية إلا عن طريقه، وتفسير هذه الآية يعتبر من الأمور التي لا مجال للاجتهاد فيها، وقد رجعت إلى بعض من هذه التفاسير الحديثة في تفسير هذه الآية فوجدت أنها تذكر هذه الروايات، من هذه التفاسير على سبيل المثال تفسير سيد قطب فقد أورده في تفسيره[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول ا صلى ا عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم (١٦٢).
(٢) الدائرة ج٣، ص ٢٨٧
(٣) الظلال، ج٤/٢٢٢١٠، ط١٣، دار الشروق، ١٩٨٧ - ١٤٠٧م، وانظر التفسير الحديث: محمد عزة

ثانيها: أما ثاني هذه الملاحظات:

قوله "هو أنها (أي الروايات) احتفظت أيضا بالمعنى البدائي لقصة الصعود التي صـورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية"[١] الرد: هذه الروايات أشارت إلى قصة عروج النبـي (ﷺ) إلى السماوات العلا حتى وصل إلى سدرة المنتهى حيث فرض الله عليه الصلاة هناك، خمـسين صلاة، ثم خفف عنه الله إلى خمس صلوات.

فلا أرى معنى هنا لقول الكاتب أن هذه الروايات احتفظت "بالمعنى البدائي" ذلـك أنـه لا يوجد معنى بدائي ومعنى ثاني فالمعنى الذي أشارت إليه الروايات واضح مـن الروايـة ومـن سابقتها وقد ذكرت الروايات كما وردت في الصحيحين، وفي التفاسير.

وقوله التي صورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية"

لعله قصد من ذلك ما فرضه الله عليه في هذه الرحلة حيث فرضت الصلاة كمـا ذكـرت قبل قليل، ثم إن تعاليم النبوة التعبدية – على حد قول الكاتب- لم تكن حادثة الإسراء والمعـراج بدايتها بل كانت قبل حادثة الإسراء والمعراج بسنوات ذلك أن الدين موجود وهنـاك مـا كـان استمراراً لملة ابراهيم من صلاة وصيام وحج.

وقبل أن ينزل عليه الوحي تظهر عليه آثار النبوة وهي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[٢] كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها حيث قالت:"أول ما بـدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي هي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثـل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلا وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى

خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملـك فقـال: اقـرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: مـا أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنـا بقـارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال:" اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم"[٣].

دروزة، ج٣/٣٥٣ وما بعدها.

(١) الدائرة ج١، ص٢٨٧

(٢) الرحيق المختوم: المباركفوري ص٥٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتابي التفسير وتعبير الرؤيا مع اختلاف يسير في اللفـظ (وانظـر الرحيـق المختـوم،

وكان عمر النبي في ذلك الوقت أربعين عاما، أما حادثة الإسراء والمعراج فقد كانت على الراجح من أقوال العلماء بعد بيعة العقبة الأولى التي كانت سنة إحدى عشر من النبوة وا أعلم. فهل يعقل أن النبي (ﷺ) لم يكن يعلم بتعليم النبوة التعبدية طوال هذه المدة ؟؟ هذا مما لا يتصوره العلم ولا يقبله العقل وا أعلم.

ثالثها: قوله: "وهذا القول يفسر عبارة المسجد الأقصى" بالسماء

الرد: لقد أوردنا الروايات وجميع الروايات التي ذكرت في كتب التفسير لم يرد في أي رواية منها أنها فسرت المسجد الأقصى بالسماء فهذا تخبط من الكاتب.

ثم يذكر الكاتب الروايات الثانية في تفسير الآية، فيقول: "والرواية الثانية"، وهي الوحيدة في جميع التفاسير المتأخرة تفسر "المسجد الأقصى" بيت المقدس، وليس هناك سبب بين لهذا التفسير، ويظهر أنه أوحت به سياسة الأمويين التي رمت إلى تعظيم بيت المقدس على حساب مكة التي كان يحلها حينذاك عبد ا بن الزبير"[1]

كما أشرنا قبل قليل أن التفاسير جميعها سواء كانت متأخرة أم متقدمة لا سبيل إلى الوصول إلى تفسير مثل هذه الأمور إلا عن طريق ما ورد منها من أحاديث صحيحة، وجميع التفاسير تفسر المسجد الأقصى بيت المقدس لأن الروايات فسرتها بذلك، وليس أن المفسر هو الذي اجتهد اجتهاده، ذلك أن هذه الأمور لا يمكن لأحد أن يجتهد ويفسر كما يحلو له لا لسياسة الأمويين ولا لغيرهم كما يدعي الكاتب إذ إن هذا هو التفسير البين وإن كان هناك تفسير غير ذلك لا بد وأن يكون صاحب هذا التفسير فسر الآية وفق رأيه وهواه، وهذا مما لا يقبل ويعد من التفسيرات المنحرفة التي يضرب بها عرض الحائط ولا يلتفت إليها.

فكلام الكاتب هذا لا أصل له من الصحة، ويحاول كما يحاول إخوانه النيل من الإسلام بسموم حقدهم وغيظهم على الإسلام والقرآن بأي أسلوب ليصلوا إلى غاياتهم و أهدافهم الهدامة، فهو كما نلاحظ قد اعتمد على كتاب صديقه وأخيه (كولد تسهير) فلا عجب إذن أن نجد مثل هذا الكلام على الإسلام والمسلمين، وهو بعد ذلك يعترف بأن المفسرين يرفضون هذا التفسير ولا يذكرونه حتى في مصنفاتهم التاريخية فيقول:" ويبدو أن الطبري قد رفض الأخذ بهذا التفسير، وهو لا يذكره في تاريخه بل يظهر أنه كان أميل إلى تأييد التفسير الأول [2]. ثم تحدث الكاتب

ص١٢٥. صحيح مسلم باب بدء الوحي، حديث رقم (١٦٠)، ج١/١٣٩.

(١) الدائرة ج٣، ص٢٨٧

(٢) المرجع نفسه.

عن القصة الرحلة الليلية إلى بيت المقدس، وذكر: "أن النبي كان نائماً، فأتاه جبريـل بـالبراق ورحل معه إلى بيت المقدس وصادفا في طريقهما قوى خيره وشريرة، وزارا الخليل وبيت لحم، وقابلا في بيت المقدس إبراهيم وموسى وعيسى وقد وصف البخاري هذه المقابلة، و(ﷺ) عليـه وسلم بهؤلاء الأنبياء الذين اجتمعوا هناك، وتشبه مقابلة النبي بهؤلاء الأنبياء في بيـت المقـدس ظهور عيسى عليه السلام على جبل تابور وربما نسجت على منوالها[١].

ذكر الكاتب أن النبي (ﷺ) وجبريل عليه السلام زارا الخليل وبيت لحم وكان مرجعه فـي ذلك النسائي، ولقد رجعت إلى سنن النسائي فلم يذكر في روايته أنه زار الخليـل وهـذا نـص الرواية:

قال النسائي:" أخبرنا عمر بن هشام قال: حدثنا مخلد عن سعيد بن عبـد العزيـز، قـال: حدثنا يزيد بن أبي مالك، قال: حدثنا أنس ين مالك، أن رسول ا (ﷺ) قال: أتيت بدابـة فـوق الحمار ودون البغل خطوطها عند منتهى طرفها، فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجر، ثـم قـال: انـزل فصل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم ا عز وجل موسـى عليه السلام، ثم قال: انزل فصل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام، ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء عليهم السلام، فقدمني جبريل حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا الحديث[٢].

فكما نلاحظ من الرواية انه لم يقابل أحد من الأنبياء، إنما أمهم بالصلاة. أما المقابلة التـي يذكرها وان البخاري وصف هذه المقابلة فكما أشرنا في الحديث كانت في السماء أثناء عروجـه في السماوات حيث قابل آدم و نوح، و إدريس و عيسى. وليس فقط إبراهيم وموسـى وعيـسى عليهم السلام الذين اقتصر على ذكرهم الكاتب.. ويدعي الكاتب هنا أن هذه المقابلة تشبه ظهور عيسى عليه السلام على جبل تابور وربما نسجت على منوالها.

وهذا ليس بمستغرب منهم، إنما الغريب انهم يؤمنون بظهور عيسى على جبـل تـابور، وصعدوه إلى السماء، ففي (آخر إنجيل مرقص): "ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلـى الـسماء وجلس عن يمين ا ".

---

(١) انظرالدائرة ج٣ / ص٢٨٨
(٢) "أخرجه النسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة ذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث انس بـن مالـك واختلاف ألفاظهم فيه " (وانظر مشكاة المصابيح: الخطيب التبريزي ج٢ / ص٤٥٠ – ٤٥٣

وجاء في آخر إنجيل لوقا: "هو المسيح يباركهم، انفرد عنهم وصعد إلى السماء"[(١)]

ثم ينتقل الكاتب إلى التفسير الثالث للآية الأولى من سورة الإسراء فيقول: "إن تفسير هذه الآية يعتمد على الآية الثانية والستين من السورة نفسها إذ وردت فيهـا كلمـة الرؤيـا بمعنـى الإسراء وهذا يتضمن أن الرحلة الليلية لم تكن رحلة حقيقية وإنما كانت رؤيا، ولما وقف محمـد (ﷺ) بالحجر رأى بيت المقدس ووصف لقريش ما رآه فلم يصدقوه[(٢)]".

الآية التي أشار إليها الكاتب في السورة نفسها رقمها ستون وليس اثنين وستين ونص الآية الكريمة، قوله تعـالى: "﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الإسراء آية ٦٠).

قال الإمام البخاري في تفسير هذه الآية[(٣)]:

عن ابن عباس رضي ا عنه: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس" قـال: هـي رؤيا عين أريها رسول ا (ﷺ) ليلة أسري به، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم "فتفسير ابن عباس لهذه الآية يرد قول الكاتب بأن الرحلة كانت رؤيا منامية، ولقد أورد الإمام الطبري فـي تفسيره الروايات التي ذكرت أن الإسراء كان مناماً وليس حقيقة.

ثم بين بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أنها حقيقة فقال:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال أن ا أسرى بعبده محمد (ﷺ) مـن المـسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر ا عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول ا (ﷺ) أن ا حمله على البراق حيث أتاه به، و(ﷺ) من الأنبياء والرسل، وأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: اسري بروحه دون جسده / لان ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهـل الشرك، وكانوا يدفعون عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطـرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هـو علـى مسيرة شهر أو اقل؟! وبعد فإن ا إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا انـه أسـرى

(١) محمد صلى ا عليه وسلم، لمحمد رضا ص١٤٥/ الإسراء والمعراج معجزة وحقائق أسرار وفوائد خالـد سيد علي ص ٢٣

(٢) الدائرة، ج٣/ص٢٨٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة / باب وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.

بروح عبده (ﷺ)، وليس لأحد أن يتعدى ما قال ا إلى ما قال غيره.

والأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول ا (ﷺ) أنه أسري به على دابة يقال لهـا البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح لتحمل على البراق إذ كانت الدواب لا تحمـل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل: أن معنى أسري بروحه، رأى في المنام أنه أسـري بجـسده علـى البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول ا (ﷺ) أن جبريل عليـه الـسلام حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده ممـا تركب الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبي (ﷺ) لم يمن النبي (ﷺ) على قوله حمل علـى البراق لا جسمه ولا شيء منه وصار عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيـل، ومما تتابعت به الأخبار عن رسول ا (ﷺ) وجاءت به الآثار عن الأئمة والصحابة والتابعين[١]

قال الطبري: في تفسير تلك الآية:

عن ابن عباس في قوله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، قال: هي رؤية عين أريها رسول ا (ﷺ) ليلة أسري به وليست برؤيا منام.

وعن الحسن في قوله: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس" قال: أسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه ا ما أراه من الآيات ثم أصبح بمكة فأخبرهم أنه أسري به إلى بيت المقدس، فقالوا: يا محمد ما شأنك أمسيت فيه ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيـت بيـت المقدس فعجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول ا (ﷺ) ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآيـة إنمـا نزلت في ذلك وإياه عنى ا عز وجل بها فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام "ما جعلنـا الرؤيـا التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس إلا فتنة للناس: يقول: الإبلاء للناس الـذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي أراها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول ا (ﷺ) تماديا في غيهم وكفرا إلى كفرهم[٢].

(١) الطبري، ج١٥، ص١٧.
(٢) الطبري، ج١٥، ص١١٣، البغوي، ج٣، ص٢١، ابن كثير، ج٣/ص١٢١، أضواء البيان الـشنقيطي، ج٣، ص٦٠٣".

قال صاحب أضواء البيان في التدليل على حقيقة الإسراء والمعراج وأنها بالجسد حقيقة لا بالروح مناما: "من أوضح الأدلة القرآنية على ذلك قوله عز وجل: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن." كما صح عن ابن عباس أنها رؤيا عين يقظة لا رؤيا منام[١]، قال ابن عاشور: ويؤيد هذا الوجه قوله "التي أريناك " فانه وصف للرؤيا ليعلم أنها رؤية عين[٢] أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة[٣]، ولا سببا لتكذيب قريش لان رؤيا المنام ليس محل إنكار، لان المنام قد يرى فيه ما لا يصح فالذي جعله ا فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب فزعم المشركون أن من ادعى رؤيا ذلك بعينه فهو كاذب لا محالة فصار فتنة لهم.

ويؤيد ذلك أيضا (لنريه من آياتنا) وقوله: ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وما زعمه بعض أهل العلم من أن الرؤيا لا تطلق بهذا اللفظ لغة إلا على رؤيا المنام مردود، بل التحقيق أن لفظ الرؤيا يطلق في لغة العرب على رؤية العين يقظة أيضا ومنه قول الراعي وهو عربي قح:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسا كان قبل يلومها

ومنه أيضا قول أبي الطيب:

رؤياك أحلى في العيون من الغمض[٤]

قال القرطبي في تفسيره هذه الآية: ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو متواتر بهذا الوجه وذكر النقاش مما رواه: عشرين صحابيا، ثم شرع يذكر بعض طرفه في الصحيحين وغيرهما، وسط قصة الإسراء[٥] قال ابن كثير في تفسيره: (قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحيه في كتابه: "التنوير في مولد السراج المنير).

وقد ذكر حديث الإسراء من طريق انس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال: وقد تواترت

---

(١) الشنقيطي، ج٣/ص٣٠٦.
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٦/ص١٤٦.
(٣) انظر سيد قطب، الظلال ج٤ / ص ٢٢٣٧، الطبري ج١١٣/١٥/ البغوي ج٣/ص١٢١/ البيان الشنقيطي ج٣/ ص٦٠٣ (ابن كثير ج١٢١/٣).
(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٣، ص٣٩٢، "وانظر المراغي، ج١، ص٦.
(٥) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ٢٠٥ / ٢٠٩، وانظر المحرر الوجيز لإبن عطية، ج٩، ص٤٠، وانظر البغوي، ج٥، ص٥٨.

روايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمر وجابر بن حذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة و سمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد وان لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (الصف ٨) [1] يقول الرافعي: "ونحن على الرأي الذي عليه جمهور العلماء من أن الإسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا على التأويل الذي سنبينه ويثبت ذلك قوله تعالى في سورة النجم: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم ١٦-١٧) فلا يكون البصر يزيغ ويطغى إلا في الجسم، ولم يتنبه أحد من المفسرين إلى المعنى المعجز العجيب في قوله (وما طغى) فذلك نص على انه كان يرى بجسم قد تحول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه منها شيء، إذ لا يكون طغيان البصر إلا من تسلط الخيال عليه بأهواء الجسم التي لا يستقيم بها حكم على حقيقته، ما زاغ البصر بكونه مقيد الحاسة، ولا طغى بكونه مطلق الخيال، بل كان كما يريد الله من آياته، أي كان حقيقة كونية في غير حالتها الأرضية الناقصة[2]".

ويقول سيد قطب في تفسيره:

"واختلف في أن الإسراء كان في اليقظة أم في المنام، فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "والله ما فقد جسد رسول الله (ﷺ) ولكن عرج بروحه".

وقد وفق العلماء بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى التي تثبت حقيقة الإسراء والمعراج، فقال الشنقيطي: "وما ثبت في الصحيحين من طريق شريك عن انس رضي الله عنه أن الإسراء المذكور وقع منام، لا ينافي ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة ودلت نصوص الكتاب والسنة، لا مكان أن يكون رأى الإسراء المذكور نوماً، ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح،

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج٢ / ص ١٩٤.

(٢) وحي القلم ٣ / ٣٦

فأسري به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية كما رأى في النوم انهم دخلـوا المـسجد الحـرام فجاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح فدخلوا المسجد الحرام في عمرة القضاء، عام سـبعة يقظـة لا مناماً تصديقاً لتلك الرؤيا كما قال تعـالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح ٢٧).

ويؤيد ذلك حديث عائشة الصحيح: "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح "مع أن جماعة من أهل العلم قالوا: إن شريك بن عبد ا بن أبي قدساء حفظه في تلك الرواية المذكورة عن أنس، وزاد فيها ونقص وقدم وأخر، ورواها عن انس غيره من الحفاظ على الصواب فلـم يذكروا المنام الذي ذكره شريك المذكور، انظر رواياتهم بأسانيدها ومتونها في تفسير ابن كثيـر رحمه ا ، نقد جمع طرق حديث الإسراء جميعا حسنا بإتقان[1].

ثم يتابع سيد قطب حديثه فيقول:

"والراجح من مجموع الروايات أن رسول ا (ﷺ) ترك فراشه في بيـت أم هـانئ إلـى المسجد، فلما كان في الحجر عند البيت بين النائم اليقظان اسري به وعرج، ثم عاد إلى فراشـه قبل أن يبرد.

على أننا لا نرى محلا لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً والذي يثور حديثاً حول طبيعـة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول (ﷺ) والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجـسم، وبين رؤيا في المنام أو رؤية في اليقظة. المسافة بين هذه الحالة كلها ليست بعيدة ولا تغير مـن طبيعة هذه الواقعة شيئاً وكونها كشفاً وتجلية للرسول (ﷺ) عن أمكنة بعيدة، وعوالم بعيـدة فـي لحظة خاطفة قصيرة.. والذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الإلهية ومـن طبيعـة النبـوة لا يستغربون في الواقعة شيئاً، فأمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تبـدو فـي نظـر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وإلى تصوره متفاوتة السهولة والصعوبة حسب مـا اعتـاده ورآه والمعتاد المرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تقدير الأمور بالقياس إلى قدرة ا .

أما طبيعة النبوة، فهي اتصال بالملأ الأعلى – على غير قياس أو عادة لبقيـة البـشر –

(١) أضواء البيان: سورة بني إسرائيل ص ٣٩٣ – ٣٩٤، وانظر البغوي ج ٥ / ص ٦٥.

وهذه التجلية لمكان بعيد، أو عالم بعيد والوصول إليه بوسيلة معلومة أو مجهولة ليست اغـرب من الاتصال بالملأ الأعلى والتلقي عنه..

وقد صدق أبو بكر رضي ا عنه، وهو يرد المسالة المستغربة المستهولة عند القوم إلـى بساطتها وطبيعتها فيقول إني لأصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء " ا. ه[(١)]

ويقول محمد الصادق عرجون:

"القول بان الإسراء كان مناما أو بالروح فقط قول محدث بعد انعقاد الإجماع قبله، ولـيس لرواياته أسانيد ثابتة، حديث عائشة في الإسراء موضوع لرد الحـديث الـصحيح، التحقيـق أن الإجماع الصحيح قائم بلا نكير على أن الإسراء والمعراج كان في أكمل حالات بشريته روحـاً وجسداً[(٢)] .

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

يتساءلون وأنت اطهر هيكل   بالروح أم بالهيكل الإسراء

بهما سموت مطهرا وكلاهما   نور وروحـانية وبهـاء

وما سقنا من أدلة ومن أقوال العلماء حول حقيقة الإسراء والمعراج انه بالجسد والـروح معا رد على صاحب التعليق على مادة الإسراء في الدائرة – أبو عبـد ا الزنجـاني – الـذي حاول أن يثبت أن الإسراء كان بالروح دون الجسد مدعياً أن الإسراء بالجسد والروح يقظـة لا مناما لا يمكن أن يقره العلم ولا يصدقه العقل، وحاول أن يدعم قوله بما جاء في تفسير الطبري من روايات حول الإسراء والمعراج لا تقوم بها الحجة ولا تثبت شيء من دعواه في ذلك.

فيقول : "أما القول الأول فلا يقره العلم ولا يصدقه العقل فإن العقل كما يقـول القـرآن - يرى أن ا أحاط بالوجود وهو محضه الذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد. كما أنه أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وتنزه عن أن يكون من جهة من الجهات حتى يشار إليـه أو يتلقاه أحد فيها.

والقرآن لا يصرح بأن الإسراء كان بجسده الشريف "وقد ساق عدة روايات أوردها الإمام الطبري في تفسيره ليدلل على صحة دعواه فقال:

---

(١) الظلال ج٤ / ص ٢٢١٠ – ٢٢١١.

(٢) أ" الإسراء والمعراج معجزة وحقائق أسرار وفوائد، خالد سيد علي ص٥٤.

"روى الطبري عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي (ﷺ)، فقالوا: يا نبي ا ، هل رأيت ربك قال: لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين ثم تلا (دنا فتدلى) آية (دنا فتـدلى) تفسر قول أنس بن مالك عن الإسراء كما نجد في قول النبي (ﷺ) حيث يسأل عن رؤيـة ربـه اتجاها لهذه الآية لأنه يتلوها عقيب هذا السؤال إلى مسألة الإسراء، ثم نظام هذه الآية في سورة النجم نجد ضوءاً يهدي إلى الحق وهو قوله تعالى: "ما كذب الفؤاد ما رأى" فينسب المرئي وهو انكشاف الحقائق العلمية إلى الفؤاد وبذلك تعرف أن الإسراء كان بالروح وآلا كان ينسب المرئي إلى البصر دون الفؤاد[١]

وقد استدل أيضا بالروايات التي تذكر حادثة شق صدره (ﷺ) وغسله بماء زمزم ثم يقول بعد ذلك "والنظر الدقيق والتأمل الصادق في هذا يهدي أن الإسراء كان بروحه لان العقل والنقل لا يقران بان الشق من جبرائيل كان لجسمه الشريف ولا يشك فيه عاقل، ثم هل يقر العلم والعقل أن الأيمان والعلم والحكمة والحلم والإسلام واليقين مما توضع في إناء من الذهب وهـل صـفة الغل تغسل بالماء، وهل هذه الأمور التي ذكرت في ابتداء الإسراء إلا شواهد بأنه كان بالروح . وقد جاءت في تفسير هذه الآية أن الذي دنا هو جبريل عليه السلام.

(أورد الإمام مسلم بسنده عن زر بن حبيش عن قول ا عز وجل: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم الآية ٩) قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي (ﷺ) رأى جبريل له سـتمائة جنـاح،

وعنه قال: " ما كذب الفؤاد ما رأى " قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح

وقوله: " ولقد رآه نزلة أخرى "وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء، عن أبي هريـرة رضي ا عنه، قال: رأى جبريل.. وعن ابن عباس قال: رآه بقلبه وفي رواية قال: رآه بفـؤاده مرتين[٢] وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء. وبذلك يتضح لنا من الآيات ويثبت لنا دحـض دعواه.

وقيل ما روي عن معاوية وعائشة انه كان مناما فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكـن ذلك حجة لأنهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة وكفر معاوية إذ ذاك ولأنهما لم يسندا ذلـك إلـى

---

(١) ا. ه الدائرة ج٣ " ص ٢٩٠ – ٢٩١

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى و باب في معنى قول ا عز وجل ولقـد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ج١٥٨/١ حديث رقم ٢٨٤/٢٨٥/١٧٦.

الرسول ولا حدثنا به[1].

فقوله أن العقل لا يقبل هذا التفسير يقول البغوي في ذلك: "أن الحركة بهذه السرعة ممكنة في نفسها، فقد جاء في القرآن أن الرياح كانت تسير لسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيـدة في الأوقات القليلة، فقد قال تعالى في صفة سير سليمان عليـه الـسلام: "﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ "وجاء فيه أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقـصى الـيمن إلـى أقصى الشام في مقدار لمح البصر كما قال تعالى: "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيـك بـه قبل أن يرتد إليك طرفك "وإذ جاز هذا لدى طائفة من الناس جاز لدى جميعهم[2]" .

ثم قال بعد ذلك:

"إن ما يجد كل يوم من ضروب المخترعات، (والتوصل) بها إلى طي المسافات بوسـائل الطيارات، وقطع المحيطات في قليل الساعات، من قارة إلى قارة، ومن قطر إلى قطر ليجعلنـا نعتقد أن ما جاء في وصف هاتين الرحلتين من الأمور الميسورة التي ليست بالعزيزة الحـصول أو الأمور المستحيلة.

وان روحانية الأنبياء تتغلب على كثافة أجسامهم، فما يخيل إلينا من العوائق العملية، مـن صعوبة الوصول إلى الملأ الأعلى، بتخلخل الهواء، واستحالة الوصول إلى الطبقات العليا مـن السماء، فهذا إنما يكون بالنظر إلى الأجرام والأجسام المشاهدة في عالم الحس، وان لروحانيـة الأنبياء والملائكة أحكام لم يصل العقل البشري إلى تحديدها وإبداء الرأي فيهـا، وأنهـا لفـوق مستوى إدراكه حتى يطيل البحث فيها ولا التحقق في استقصاء آثارها"[3].

ان القائلين بامتناع حركة سريعة إلى هذ الحد يلزمهم القول بامتناع نزول.

فلو كان القول بإسرائه ومعراجه (ﷺ) ممتنعاً في العقول لكان القول بانزال جبرائيل مـن فوق السماء ممتنعاً، فالقول بهذا الامتناع يعد طعناً في نبوة جميع الأنبياء والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة ثم إن أكثر أربابا الملل والنحل يسلمون بوجود إبليس وأنه هو الذي يتولى إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم، فلما سلموا جواز هذه الوسوسة والحركة الـسريعة

---

(١) ابن عطية الأندلسي المحرر الوجيز ج٩ /ص٦٠٠٥، البحر المحيط ج٧ / ص٨
(٢) المراغي،ج١٥ / ص ٦ والتفسير الكبير:الرازي، ج ٧ / ٢٩٣
(٣) المراغي،ج ١٠ / ص ١٠

في حق إبليس فلأن يسلموا بجوازها في أكابر الأنبياء كان أولى))[١].

ولقد ذكر ابن حجر في فتح الباري رداً على من استنكر وقوع شق الصدر رأيت من المفيد ذكره هنا ردا على دعواه، فقال:

"وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء، وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن الحقيقة لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك، قال القرطبي في المفهم: لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء لان رواته ثقات مشاهير[٢].

ويقول الدكتور البوطي في فقه السيرة:

"تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء حفرة. وليست الحكمة من هذه الحادثة – والله اعلم – استئصال غدى الشر في جسم الرسول (ﷺ)، إذ لو كان الشر منبعه غدى في الجسم أو علقة في بعض أنحائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هي إعلان أمر الرسول (ﷺ) إنها إذن عملية تطهير معنوي ولكنها اتخذت الشكل المادي الحسي، ليكون ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم[٣].

وقد جاء في تفسير قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) :

جبريل دنا من النبي (ﷺ) أي بعدما مد جناحه وهو بالأفق عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي (ﷺ).

واستدل أيضا (عبد الله الزنجاني) بقول الفلاسفة والحكماء أن الرسول (ﷺ) رأى ربه بالتجلي والمكاشفة واستدل على ذلك بقول ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) قال: رأيت ربي فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردا بين ثديي فعلمت ما في السماوات ثم تلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥)، يقول صدر الدين: رآه (ﷺ) بالتجلي والمكاشفة، ومنبع هذه المكاشفة من القلب الإنساني أي نفسه الناطقة المنورة بالعقل

---

(١) المرجع نفسه
(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج٨/ص٤٧٥.
(٣) فتح الباري، ص٤٧٦ أو انظر الرازي، ج١٠/ص٢٣٩.

العملي المستعمل بحراسة الروحانية[١]"

الرد:

إن تفسير الكلام بهذا الوجه هو قول الفلاسفة والحكماء، فأما جمهور المسلمين فقد سبق وأن ذكرت آرائهم وتفاسيرهم في ذلك، وما سقناه من أحاديث وأدلة واتسع مجال النقاش وثبت بالدليل العقلي واليقين القاطع والنقلي المتواتر أن الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه يقظة لا مناما ومن أنكر شيئاً من القرآن فقد أنكر القرآن ومن أنكر القرآن فهو كافر/ وا اعلم..

سورة المسد:

جاء الحديث عن سورة المسد في الدائرة تحت لفظة (أبو لهب) بدا الكاتب حديثه بترجمة مختصرة لأبي لهب ثم ذكر سورة المسد كما جاءت في القرآن الكريم ثم قال: " ويتضح من سياق هذه السورة أن معنى الآية الرابعة هو أن هذه المرأة ستجمع في جهنم الحطب الذي سيوقد تلك النار (البيضاوي في تفسير الآية) وليس أنها كانت تجمع في حياتها الحطب أو بعبارة أخرى الحسك وتنثره في طريق النبي (ﷺ) كما يقول بعض المفسرين[٢]، ولأنها كانت كثرا ما تهين النبي (ﷺ) وتعيره بفقره[٣].

الذي جاء في البيضاوي: "حمالة الحطب يعني حطب جهنم، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول (ﷺ) وتحمل زوجها على إيذائه والنميمة فإنها توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول (ﷺ)"[٤].

فكما نلاحظ في قول البيضاوي انه ذكر اقوال العلماء في ذلك وهو إما أنها كانت تنثر الشوك في طريق النبي (ﷺ) أو المقصود به النميمة وليس كما بدا لكاتب المقال أنها تجمع الحطب في جهنم فهذا لم يقل به أحد من المفسرين ولم يقبله العقل ولا يناسب سياق الآيات ومفهومها وقد رجح الطبري الرأي الأول حيث قال:

"وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول ا (ﷺ) لان ذلك هو أظهر معنى ذلك[٥].

---

(١) الدائرة ج ٢ / ص ٢٩٢.
(٢) انظر الطبري، والبيضاوي.
(٣) الدائرة ج / ٣٩٣ وما بعدها.
(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٨١٣.
(٥) الطبري، ج ٣٠ / ص ٣٣٩

وجاء في صحيح البخاري، قال مجاهد: "حمالة الحطب": تمشي بالنميمة ورجح ابن كثير هذا القول[١].

والذي يظهر أنها سواء كانت تمشي بالنميمة أو أنها كانت ترمي الشوك في طريق النبي (ﷺ)، كل هذا كان في الدنيا وليس في الآخرة وأنها ستجمع في جهنم الحطب الذي سيوقد النار كما ادعى الكاتب ثم إنه هل النار بحاجة إلى حطب كي توقد في ميزان ا وقدرته.

ثم يذكر الكاتب سبب نزول هذه السورة، وقد كان دقيقا وموضوعيا في ذكر قصة سبب نزولها[٢] كما جاءت:

فقد أخرج البخاري بسنده، عن ابن عباس رضي ا عنهما، قال:

لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (الشعراء، ٢١٤) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول ا (ﷺ) حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صاحباه"، فقالوا: من هذا، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح الجبل، أكنتم مصدقي قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب، تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب، وقد تب، هكذا قراها الأعمش يومئذ[٣]

على أن الكاتب لم يوردها بسياقها وألفاظها هكذا من صحيح البخاري، ولم يذكرها بسياق الرواية هكذا، ثم يتحدث الكاتب عن "رواية أخرى رواها ابن إسحاق – ذكرها ابن هشام – هي أن أبا لهب فاه بعبارة فيها احتقار للنبي (ﷺ) في مناسبة أخرى، وكان ذلك بحضور هند بنت عتبة، جاء فيها من ألفاظ السباب "تبا" على انه لا بد أن يكون قد سبق ذلك جملة مواقف عدائية أساء فيها أبو لهب إلى النبي مما جعل الأخير يسخط على عمه مثل هذا السخط الشديد الذي لا شفقة فيه مع أن أبو لهب كثيرا ما وقف في صف في صف النبي بطريق غير مباشر[٤]

الرواية التي ذكرها ابن هشام عن ابن إسحاق هي كما يأتي:

" قال ابن إسحاق: وحدثت انه كان يقول في بعض ما يقول: يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد ذلك؟ ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما ما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب " وامرأته حمالة الحطب " حديث رقم ٤٦٨٩ ").
(٢) انظر الدائرة ج ٢ / ص ٣٩٤.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب)، وكتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية)(حديث رقم " ٣٣٣٥ " " ٤٦٦٨").
(٤) الدائرة، ج٢، ص٣٩٤.

أرى فيكما شيئا مما يقول محمد، فانزل ا تعالى فيه " تبت يدا أبي لهب وتب " المسد[1].

فكما نلاحظ في الرواية أنه لم يرد فيها من ألفاظ السباب على ابن أخيه، كما يدعي الكاتب ولم يرد فيها أن هند بنت عتبة كانت حاضرة، وقوله " جعل الأخير يسخط على عمه " فيه إساءة للنبي (ﷺ) إذ إن الحديث عن النبي (ﷺ) ليس كالحديث عن أي شخص آخر، هذا رسول الأمـة ونبراسها، هذا من قرن اسمه باسم ا الأعظم، له احترامه ومكانته، ألا يجوز أن تستبدل هـذه الكلمة " الأخير" برسول ا ؟؟ولكنه الحقد والغل والحسد!!!.

ثم إن النبي (ﷺ) لم يسخط على عمه لأنه رماه بألفاظ من السباب والـشتائم فقـط، ولـم يغضب (ﷺ) يوما في حياته لنفسه إلا أن تنتهك حرمة ا ، فغضبه (ﷺ) من عمه كان لأنه كـان يقف في طريق الدعوة ، ويحرض الناس على ذلك، فأراد ا عز وجل أن يثأر لنبيه وحبيبـه فأهلكه تلك الهلكة وأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم الدين، ليكون عبرة لمن اعتبر، وا نسأل العفو والعافية وأن يثبتنا على هذا الدين. آمين..

وقول الكاتب: أن أبا لهب قد وقف في صف أخيه أبي طالب في ظرف سابق لمـساعدته، ومساعدة النبي (ﷺ) في طريق غير مباشر، قول غير صحيح..

ذلك أن أبا لهب اتخذ موقف العداوة من رسول ا (ﷺ) منذ اليوم الأول للدعوة.

قال ابن إسحاق: "حدثني حسين بن عبد ا بن عبيد ا بن عباس، قال: سمعت ربيعة بن عماد الدين، يقول: إني لمع أبي رجل شاب، انظر إلى رسول ا (ﷺ) ، يتبع القبائـل، وراءه رجل أطول وضيء الوجه ذو جمة، يقف رسول ا (ﷺ) على القبيلة فيقول: يا بني فلان، إنـي رسول ا ، آمركم أن تعبدوا ا ولا تشركوا به شيئا وان تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن ا ما بقيت به، وإذا فرغ من مقالته، قال الآخر من خلفه: يا بني فلان هذا يريد مـنكم أن تـسلخوا اللات والعزى وحلفاؤكم من الجن من بني مالك بنا أقمس، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي من هذا ؟ قال: عمه أبو لهب[2].

فهذا نموذج من نماذج كيد أبي لهب للدعوة وللرسول (ﷺ) ، وكانت زوجته أم جميل فـي عونه في هذه الحملة الطاغية الظالمة.

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ / ص٣٦٨.
(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني بهذا اللفظ " مجمع الزوائد، باب خروج النبي إلى الطائف وعرض نفسه علـى القبائل قال الهيثمي رواه الطبري وفيه ابن اسحق هو مدلس ثقة ج٣٥/٦، وانظر سيد قطب ج ٦ / ص ٣٩٩٩.

ولقد اتخذ أبو لهب هذا الموقف من رسول ا (ﷺ) منذ اليوم الأول للدعوة، كما سـبقت الإشارة لذلك عند ذكر سبب نزول هذه الآية.

ثم إن أبا لهب لما اجمع بنو هاشم بقيادة أبي طالب على حماية النبي (ﷺ) ، ولو لم يكونوا على دينه، تلبية لدافع العصبية القبلية، خرج أبو لهب على إخوانه وحالف عليهم قريشا، وكـان معهم في الصحيفة التي كتبوها لمقاطعة بني هاشم وتجويعهم كي يسلموا لهم محمداً (ﷺ) .

وكان قد خطب بنتي رسول ا (ﷺ) – رقية وأم كلثوم – لولديه قبل البعثة، فلمـا كانـت البعثة – بعثة الرسول (ﷺ) – أمر بتطليقهما حتى يثقل كاهل محمد بهما.!

وهكذا مضى هو وزوجته يثيرانها حرباً شعواء على النبي (ﷺ) وعلى الدعوة، لا هـوادة فيها ولا هدنة[1]

ثم يتعرض الكاتب لتفسير قوله تعالى: "وتب" فيقول:

"وتعتبر هذه السورة مكية (وتب فعل ماض يدل على المستقبل " انظر شرح البيـضاوي " بل ويعتبرها نولدكه من أقدم السور المكية، ولكن نص الآيـة الثانيـة ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْـهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ شان القرآن فيما يماثل هذه العبارة – يدل على حدث في الماضي (انظـر سـورة الأعراف آية ٤٦[2]، الحجر ٨٤، الشعراء ٢٠٧، ومواضع أخرى) ولو انـه عنـى المـستقبل لاستعمل "يغني" كما هو المعتاد دائما، أضف إلى ذلك أن استعمال "مما أغنـى" للدلالـة علـى المستقبل لا مثيل له في القرآن. وإذن فهذه الآية تفصح عن نشوة الانتصار بهلاك أبو لهب الذي حدث قبل نزولها (انظر وفاته فيما بعد) وتدل على أنها نزلت بعد واقعة بدر بقليل من الـزمن، ولم يشهد أبو لهب هذه الواقعة بنفسه إما لأنه كان مريضا كما تقول بعض الروايات، وإما لأنـه تشاءم من رؤيا سيئة رأتها عاتكة كما تقول روايات أخرى، وأرسل بدلا منه عاصي بن هـشام الذي كان أبو لهب قد ربح جميع أمواله في الميسر فاستعبده نظير دينه"[3].

يبدو أن الكاتب لا يعرف شيئا عن استخدام القرآن للألفاظ وانتقائه لها في جملـه بحيـث تكون في ابلغ وأصح لغة، بل لا يعرف شيئا عن الإعجاز والبيان والبديع فـي سـياق الآيـات

---

(١) سيد قطب ج ٦ / ص ٤٠٠٠

(٢) الآية التي أشار إليها فيها لفظ (أغنى) رقمها (٤٨).

(٣) المرجع السابق " الدائرة ج ٢ / ص ٢٩٤-٢٩٥

القرآنية.

فالقرآن الكريم عندما يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي إنما يعبر به لتحقق وقوعه (عـدم الإغناء) لقوله:

جزاني جزاه ا شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل على أنه قرئ " وقد تب[1]".

قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قولـه تعـــالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ (المسد: ٣ - ٥)، وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد " فاخبر عنها بالشقاء وعدم الإيمان لم يقض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا ظاهراً ولا باطناً، لا سرا ولا علنا، وكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة[2]

وقد ورد فعل (ما أغنى) أكثر من مرة في القرآن وليس كما زعم الكاتب، فقـد ورد ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴾ (الحاقة "٢٨") حيث وصف القرآن الكريم بهذه الآية حال من سـيؤتى كتابـه بشماله يوم القيامة وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لتحقق وقوعه يوم القيامة وهذا رد على قـول الكاتب:" "ما أغنى" للدلالة على المستقبل لا مثيل له في القرآن "، وهو بذلك يحاول أن يثبـت أن هلاك أبي لهب كان قبل نزولها، بقوله "وإذن فهذه الآية تفصح عن نشوة الانتصار بهلاك أبـي لهب الذي حدث قبل نزولها".

وهذا غير صحيح فقد سبق وان ذكرت الرواية التي ذكرت سبب نزول هذه السورة مـن صحيح البخاري وذكرها الكاتب أيضا قبل ذلك، ثم عاد يناقض نفسه بنفسه فبعد أن ذكر قـصة سبب نزولها وأنها نزلت بعد قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢١٤) وذكـر أنها من اقدم السور المكية حاول هنا أيضا أن يستدل بهذه الآية باستخدام القرآن للفعل الماضي بأنها نزلت بعد هلاك أبي لهب وبعد واقعة بدر بقليل من الزمن.

---

(١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٨١٣، وانظر الكشاف ج٤/ ص ٨٠٨، وانظر ابن عاشور ج ٣٠ / ص ٦٠٤

(٢) تفسير ابن كثير ج٤، ص٨٣٠، طبعة دار الفجر للتراث، القاهرة.

فنحن نعلم أن وقعة بدر كانت في السنة الثانية للهجرة ونزول هذه السورة كان في بدايات الدعوة، فهل يعقل أن يكون حدث شيء وانتهى ثم نزل قرآن بشأنه بعد فترة مثل هذه في الزمن، هذا مما لا يقبله علم ولا يتصوره العقل، فالقرآن الكريم كان ينزل مباشرة وقت وقوع الحوادث كما في هذه السورة وغيرها.

هلاك أبي لهب هو الذي كان بعد وقعة بدر بسبعة أيام " بمرض العدسة[١]، وفي مرضه اجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى أنتن فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه وفي رواية حفروا له حفرة ودفعوه بعود حتى وقع فيها فقذفوه بالحجارة حتى واروه[٢] اللهم عافنا واعف عنا.

الإخلاص:

لقد تم دراسة هذه الكلمة تحت لفظ "الإخلاص" ولم يعط الكاتب هذه الكلمة حقها من البحث سواء في معناها اللغوي أو معناها الاصطلاحي ولا ورودها في القرآن الكريم ، تقول الدائرة:

"- إخلاص - الصفاء، خلوص الشيء من شوبه، ومعنى إخلاص كما يؤخذ من استعمال القرآن لهذا اللفظ (إخلاص الدين .. سورة النساء .. آية ١٤٦، الأعراف .. آية ٢٩، يونس.آية ٢٢، الزمر.. آية ١٤ - ١٦).. هو الإسلام (سورة البقرة آية ١٣٣). وبهذا اصبح ضد الإشراك، أو الشرك. والسورة التي تؤكد أحدية ا ووحدانيته والتي تنزهه عن الشريك تسمى " سورة الإخلاص " كما تسمى أيضا "سورة التوحيد" وتتلى كثيرا في الصلاة.."[٣]

نلحظ قصور يد الباحث عن أن يأتي لنا بمعلومات دقيقة عن الإخلاص ولا يلام، فهو ليس مجاله وليس بحره لكي يتعمق فيه فلا يعرف طرقه ولا يعرف طرق الغطس فيه كي يأتي بمادة علمية تنشرح لها الصدور ولا باللؤلؤ المكنون عن مادة الإخلاص، فمعنى الاخلاص: التوحيد وسورة الاخلاص سورة التوحيد[٤]، وللتوحيد والإخلاص معان عظيمة مبسوطة في كتب التفاسير وكتب الأخلاق فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ / ص ٢٦٦، ترجمة ٤١٤، وانظر الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ج ٣١ / ص ٦٨٧
(٢) الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٣١/ص٦٨٧.
(٣) الدائرة ج ٢ / ص ٥١٩
(٤) انظر لسان العرب، باب الخاء، فصل الصاد، وانظر المعجم الوسيط، ج١، ص٥٤٩.

المبحث الثالث

من خلال ألفاظ وردت في الآيات وهي

السلام:

يتكلم الكاتب عن معنى من معاني السلام بأنه اسم من أسماء ا الحسنى فيقول:

"وفي الآية "٢٣" من سورة الحشر "وهي سورة مدنية" يرد السلام اسما مـن أسـماء ا ، ويفسره البيضاوي بقوله انه " ذو السلامة من كل نقص وآفة، مصدر وصف به للمبالغة " (انظر عن التفسيرات الأخرى لهذه الآية، لسان العرب،" ج١٥، ص١٨٢، س٧ وما بعده، س ٢٠ وما بعده) ومن ثم فان السلام في عبارتي "دار السلام، وسبل السلام" يفسر بأنه اسم من أسـماء ا (البيضاوي في تفسير الآية "١٨"من سورة المائدة، لسان العـرب، ج١٥، ص١٨٢، س٢ ومـا بعده) بل إن ثمة من يقول بأن معناه في عبارة "السلام عليكم "ا "[1].

ونلحظ أن الكاتب يقتصر على ما وقف عنده علمه فيقول إن السلام أي ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة.

فماذا يقصد الكاتب أنه مصدر وصف به للمبالغة، هذا الاسم "سمى ا به نفسه " فهل هو مبالغ فيه، بل لم يوف الكاتب حق الكلمة من الشرح والبيان.

فالسلام اسم من أسماء ا الحسنى، قال النسفي:

"أي الذي سلم الخلق من ظلمه".

وقال ابن كثير: " أي سلم من جميع العيوب والنقائص كماله في ذاته وصفاته وأفعاله[2].

ويقول سيد قطب: هو اسم يشيع السلام والأمن والطمأنينة في جنبات الوجود وفـي قلـب المؤمن تجاه ربه، فهو آمن جواره سالم في كنفه، وحيال هذا الوجود، وأهله من الأحياء والأشياء ويؤمن القلب من هذا الاسم بالسلام والراحة والاطمئنان وقد هدأت شرته وسكن بلباله وجنح إلى الموادعة والسلام[3].

ولا ادري إلام يستند عندما يقرر مادة علمية يقراها النـاس ويتخـذونها علمـا وقواعـد معروفة، انه يقول: " فان في عبارتي دار السلام، وسبل السلام يفسر بأنه اسم مـن أسـماء ا

---

(١) انظر الدائرة مادة السلام.
(٢) الأساس، سعيد حوي، ١٠ / ٥٨٢٨.
(٣) سيد قطب ٦ / ٣٥٣٣.

الحسنى، فلنقرأ الآيات في سورة المائدة قراءة فقـط، قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (المائدة ١٥-١٦).

إن هذه الآية الكريمة تنادي أهل الكتاب الذين كانوا يستكثرون أن يدعوهم إلى الإسلام نبي ليس منهم، نبي من الأميين الذين كانوا يتعالون عليهم من قبل ويتعالمون لأنهـم أهـل كتـاب وهؤلاء أميون وهذا النداء الإلهي لأهل الكتاب يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام مدعوون للإيمان بهذا الرسول ونصرة وتأييده، ويبين لهم طبيعة ما جاء به هذا الرسول ووظيفتـه فـي الحياة البشرية، وما قدر ا من اثر في حياة الناس.

لقد رضي ا الإسلام دينا وهو يهدي من اتبع رضوانه هذا ويرتضيه لنفسه كما رضـيه ا له يهديه سبل السلام.

وما أدق هذا التعبير وأصدقه إنه "السلام" هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلهـا سـلام الفرد، سلام الجماعة، سلام العالم، سلام الضمير وسلام العقل وسلام الجوارح، حقا إن ا يهدي بهذا الدين الذي رضيه من يتبع رضوان ا سبل السلام[١] .

كيف يكون سبل السلام أو السلام بمعنى اسم من أسماء ا إن المتدبر للآيات أول تـدبر يعرف بفطرته السلام أو السلام هنا هو المنهج والمبدأ والدين والطريق الذي يهديه ا لمن يتبع رضوانه. فالسلام من أسماء ا والسبيل مضاف إليه: أي السبيل التي يبنيها ا وتنسب إليه.

أما قوله: دار السلام، فالآيات الواردة في ذلك، فقوله تعالى في سورة (الأنعام آية ١٢٥ – ١٢٧)، يقول تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ

---

(١) سيد قطب ٢ / ٨٦٢ .

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٦ـ ١٢٥.

فالآيات تتكلم عن جزاء الذين يتذكرون ولا ينسون ولا يغفلون، هم الذين ينتفعـون بهـذا البيان والتفصيل، فلهم دار السلام عند ربهم ودار الطمأنينة والأمان مضمونة عند ربهم لا تضيع وهو وليهم وناصرهم وراعيهم وكافلهم ذلك بما كانوا يعملون.

ثم تكلم الكاتب عن استعمال صيغة السلام قبل الإسلام وأن لها أصلاً في العبارات العبرية والآرامية فقال:

إن صيغة "سلام"كانت مستعملة بمعنى التحية قبل الإسلام واستشهد في ذلك بأبيـات مـن الشعر، أما العبارات العبرية والآرامية المرادفة لذلك وهي: " شالوم لكا، و" شـلالاك (لكـون)، و"شلا ما علاك" والتي ترجع إلى ما جرى به الاستعمال في التوراة[١].

والذي يبدو أن الكاتب يريد أن يقول إن الرسول (ﷺ) اخذ هذه التحية من العبرية أو مـن التوراة.

يمكن الرد على الكاتب كما يلي: فأقول له السلام كانت من أول الكلام الذي نطقه آدم أبو الناس، وأبو البشر، عن النبي (ﷺ)، قال:" خلق ا آدم على صورته طول ستون ذراعـا فلمـا خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة ا ، فزادوه: ورحمة ا ، فكـل مـن يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن[٢]. وهي الكلمة التي نطـق بهـا عيسى عليه السلام وهو في المهد بقوله تعـالى: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (سورة مريم آية ٣٣).

فالإسلام هذا الدين العالمي عمل على هداية البشر إلى ما ضلوا عنه وتاهوا عنـه فتحيـة أبيهم آدم هي السلام، فضلت ذريته من بعده وأوجدوا طريقا آخر، فنشر بينهم، عمـت صـباحا

(١) الدائرة، ج١٠، ص٤٣.
(٢) انظر البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ج١، ص٦٢٢٧.

وصباح الخير و مرحبا وأهلا وسهلا، فجاء الإسلام وقال لهم لا بد أن ترجعوا إلى تحية أبـيكم واقتصروا عليها فالمسألة ليست أن الرسول (ﷺ) أخذها من العبرية أو من التوراة، بـل أراد أن يهدي الناس إلى التحية الصحيحة التي يرضاها ا للناس.

السنة:

إن الكاتب في دائرة المعارف يتكلم عن السنة، عن لفظ السنة، ومعنى السنة، ومكانة السنة في الإسلام، وعند الكاتب مصدرها من الرسول (ﷺ)، وليس من الوحي، يقول الكاتب:

"وإذا أردنا أن نفهم المعنى النظري والعملي للسنة في الإسلام وجب أن نذكر أن القـرآن وإن كان مصدراً استقى منه كثيراً من السنن فإن محمداً قد قضى في كثير من المسائل لا عـن طريق الوحي وإنما بحسب الحالة التي تعرض له، وكانت أقوال النبي وأفعاله حتى فـي حياتـه تعتبر "سنة حسنة "ومن ثم رتبت وتحددت كتابته وإن لم تعادل في صيغتها القرآن وفي حجيتـه وشرعيته"(١).

ويلحظ من كلام الكاتب أن السنة من تأليف الرسول (ﷺ) بما أنه قضى فـي كثيـر مـن المسائل لا عن طريق الوحي وإنما بحسب الحالة التي تعرض له. وغفل الكاتب عن قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم ٣ – ٤).

ويغفل عن قصة سؤاله عن الروح فلم يجب وسكت حتى نزلت الآيـة "ويـسألونك عـن الروح"، وقد خص البخاري باباً كاملاً في كتاب السنة اسماه "باب ما كان النبي (ﷺ) يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: "لا ادري"، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقـل بـرأي ولا قياس، عن جابر بن عبد ا ، قال: مرضت فجاءني رسول ا (ﷺ) يعودني وأبو بكـر وهمـا ماشيان فأتاني وقد أُغمي علي فتوضأ رسول ا (ﷺ) ثم صب وضوءه علي فقلت: يـا رسـول ا ، وربما قال سفيان: فقال: أي رسول ا كيف اقضي في مالي؟ كيف أصنع في مالي؟! قـال: فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث(٢).

بل ذهب كاتب دائرة المعارف إلى ابعد من ذلك فجعل قول أن السنة موحى بها قول بعيد، والأبعد من ذلك أن السنة قاصرة على القرآن، وقد جاء بهذا القول من دون أن ينسب القول إلى

---

(١) الدائرة، ج١٠/ص٢٣٨.
(٢) أخرجه البخاري، ج٩/ص٧٠٣. كتاب السنة باب الحسن النبي يسأل

صاحبه، فيقول:

"وهناك حديث آخر أكثر من هذا تحديداً: (ألا وان ما حرم رسول ا فهو مـا حـرم ا) (الدارمي، المقدمة، باب ٤٨). وجعل السنة في مكانة القرآن قد أدى إلى القول بأن السنة أيـضا موحى بها: (كان جبريل ينزل على النبي (ﷺ) بالسنة كما ينزل عليه بالقران (الدارمي، المقدمة، باب ٤٨). بل ذهب المسلمون إلى ابعد من ذلك فقالوا: (السنة قاضية على القرآن وليس القـرآن بقاض على السنة)" [١].

"إن الرسول (ﷺ) راشد غير ضال مهتد غير غاو، مخاص غير مغرض مبلغ بالحق عـن الحق غير واهم ولا مقصر ولا مبتدع ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة: إن هـو إلا وحي يوحى، وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقا أمينا" [٢] فما نطق الرسول (ﷺ) نطقا عن هـواه وعقله ورأيه بل كل كلامه وأفعاله وتقاريره هي وحي موحى به.

أما قوله بأن السنة قاضية على القرآن وليس القرآن بقاض على السنة، الكاتب لم ينـسب المقولة إلى قائلها، فيقول الإمام أحمد: لا أجرؤ على هذا ولكن السنة مفسرة للقرآن وقائل هـذه العبارة إنما قصدها انها تساهم في تفسير القرآن الكريم، وا أعلم.

يقول د. وهبة الزحيلي عن منزلة السنة من القرآن الكريم: "منزلة السنة من ناحية ما ورد فيها من الأحكام فقد أبان ذلك الإمام الشافعي في رسالته وهي إما أن تكون السنة مقررة ومؤكدة حكماً جاء في القرآن، أو مبينة وشارحة للقرآن، أو للاستدلال بها على النسخ، أو منشئة حكمـاً سكت عنه القرآن"[٣].

وتحت هذه الصور لا تكون فيها السنة قاضية على القرآن فمن أين جاء هذا الكاتب بهـذا الكلام..!! ا اعلم !!!..

أمة:

يعرف صاحب الدائرة كعادته هذه الكلمة ثم يعد تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، وكعادته أيضا ينسب هذه اللفظة إلى العبرية وان القرآن أخذها من التوراة يقول:

"(أمة): هي الكلمة التي وردت في القرآن للدلالة على شعب أو جماعة، وهي ليست مشتقة

---

(١) الدائرة، ج١٠/ص١٣.
(٢) انظر سيد قطب ٣٠٤٦/٦.
(٣) أصول الفقه، وهبة الزحيلي، ج١/ص٤٦١،.

من الكلمة العربية (أم) بل هي كلمة دخيلة مأخوذة من الكلمة العبرية (أما) أو من الآرامية (أميثا)، ومهما يكن من شيء فان محمد أخذ هذه الكلمة واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً"[١].

يقول هذا الكلام وكأنه يتكلم عن قاعدة أصبحت بالنسبة له وللقارئ قاعدة مقررة، يعني ينهي النقاش متى أراد عند الوصول لنقطة متفق عليها، انتهى، محمدا أخذ هذه الكلمة واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظا إسلاميا.

وقلنا قبل ذلك إن اللفظة وغيرها من الألفاظ التي من عادة صاحب الدائرة وأمثاله أن ينسبوها إلى غير العربية، بأن هذه الألفاظ إن كان أصلها غير عربي فإنها بالاستعمال بين العرب حتى قبل نزول القرآن أصبحت عربية وقد استعملها العرب فلم يأخذ محمد ﷺ من العبرية بل نزل القرآن بلغة قومه وهذه لغة قومه.

وإن من جرأة الكاتب وقلة علمه وبحثه وهو يعذر في ذلك فالمادة ليست تخصصه، وليس من أهل البحث فيها:

يقول الكاتب: "وأطلق لفظ الأمة شذوذاً في آية واحدة (سورة النحل آية ٢٠) للدلالة على فرد هو إبراهيم، ومعنى لفظ الأمة هنا أيضاً الإمام كما يقول علماء اللغة، أو أن إبراهيم سمى أمة أيضا بصفته رئيس الجماعة التي أنشأها، وذلك بإطلاق لفظ الكل على الجزء))[٢].

لا أدري ما ديانة هذا الكاتب أيهودي هو أم نصراني أم ماذا ؟! اليهودي لا يقول ذلك ولا حتى النصراني لا يقول ذلك.إن إبراهيم أبو الأنبياء كلهم فمهما تكون ديانته لا يقول ذلك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل ١٢٠ – ١٢١).

فالقرآن يرسم إبراهيم نموذجاً للهداية والطاعة والشكر والإنابة ، ويقول عنه هنا إنه كان أمة واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة ويحتمل انه كان إماما يقتدى به في الخير... والمعنيان قريبان فالإمام الذي يهدي إلى الخير هو قائد أمة وله أجره

(١) انظر الدائرة، ج٤/ص٤١١.
(٢) الدائرة، ج٤/ص٤١٢.

وأجر من عمل بهدايته فكأنه أمة من الناس في خيره وثوابه لا فرداً واحداً[1] فاحتمالية اللفظ لأكثر من معنى خصيصة خص ا بها اللغة العربية وليس شذوذا كما أسماه صاحب هذه الدائرة.

ويبدأ الكاتب بالكلام عن الأمة التي أنشأها محمد (ﷺ) وبعث فيها، يقول:

"كان محمد في أول رسالته يعتبر العرب عامة أو مواطنيه من أهل مكة أمة قائمة بذاتها، وكما أن ا أرسل رسله ومنذريه إلى الأمم السالفة فهو قد أرسل محمدا ليبلغ رسالة ا إلى الأمة العربية، ويبين لها طريق النجاة، ولم يكن قد بعث فيها رسولا من قبل، وقد كذب وأوذي أشد الإيذاء، شأن من سبقه من الرسل، وبعد أن قطع النبي علاقاته مع أهل مكة الوثنيين، وهاجر هو وأصحابه إلى المدينة، أسس جماعة جديدة تجعل أهل المدينة جميعا، جماعة سياسية واحدة، بما فيهم المسلمون ومن لم يستجيبوا إلى دعوته الدينية، وينص كتاب النبي بين المهاجرين والأنصار الذي وضعت فيه أسس هذا الحلف نصا صريحا على أن أهل المدينة بما فيهم اليهود يكونون أمة (ابن هشام ص ٣٤١ وما بعدها، ص ٣٤٢ وما بعدها). على أن الصبغة السياسية الغالبة في هذه الأمة الجديدة إنما كانت مؤقتة، فلم يكد محمد يحس أن مركزه قد توطد في المدينة ويرى انتصاره في حروبه مع كفار مكة حتى استطاع أن يخرج من جماعته السياسية الدينية أهل المدينة، (وخصوصاً اليهود) الذين لم يعتنقوا الدين الذي جاء به وبمرور الزمن صارت أمته تتألف من المسلمين وحدهم "وصار يعتبر المسلمين أمة، ويؤكد صفاتهم الخلقية والدينية (سورة آل عمران آية ١٠٤، ١١٠)، ويعتبرهم غير أهل الكتاب الذين كان محالفا لهم[2]؟

يريد الكاتب أن يقول لنا إن محمداً عندما أنشأ المجتمع الإسلامي في المدينة كان مجتمعاً مؤقتا ثم إن الجماعة التي أسسها في المدينة هي سياسية أكثر منها دينية، واقتصرت أمته على المسلمين فقط دون أهل الكتاب الذي كان حليفا لهم أو محالفا لهم، وبعد أن قطع صلته بهم عاد إلى بلدته و أرضه الأولى وهي الكعبة.

والنقطة الأساس التي يدور حولها الكاتب أن النقطة الأساسية التي أرادها محمد (ﷺ) هي إنشاء أمة العرب جميعا لكن النتيجة التي وصل إليها غير التي أرادها، يقول:

---

(١) سيد قطب، ج٤ / ص٢٢٠١.
(٢) انظر الدائرة ج٤/ ٤١٣- ٤١٤.

"وكان من أثر قطعه للصلة بأهل الكتاب أن بدأ يميل إلى أهل مكة والى الكعبـة مركـز عبادتهم (انظر في هذا سورة البقرة، آية ١١٩ وما بعدها، وخصوصا آية ١٢٢، سورة الحج، آية ٣٥ و ٦٦) وإنما كان رجوعه إلى فكرته الأولى في إنشاء أمة تشمل العرب جميعـا رجوعـا ظاهريا، فالحقيقة أن النتيجة الأخيرة التي وصل إليها تختلف اختلافا جوهريا عن النقطة التي بدا منها، فان فكرة إنشاء أمة عربية – وهي الفكرة التي أخذها محمد أول الأمر قضية مسلمة – لم تتم إلا بعد جهد عظيم"[1]

وقد تناسى الكاتب أن محمدا (ﷺ) رسول الناس كافة ولو أنه أراد مجتمعا عربيا لما تقبل إسلام سلمان الفارسي، و صهيب الرومي، وغيرهم ممن دخلوا الإسلام وهم ليسوا عربا، ولـو كان هدفه كذلك لما أرسل برسله إلى قيصر عظيم الروم، و كسرى ملك الفرس، وغيرهم مـن ملوك العالم، فالنتيجة التي توصل إليها هو هدفه الذي أراده بداية الأمر وقد توصل إليه بـإرادة من ا تعالى بان يصبح الإسلام الدين العالمي الذي ينشر سلامه وأمنـه وظلالـه علـى هـذه الأرض. قال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨) وقال في آية أخرى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبيـاء: ١٠٧).

إرم ذات العماد:

يذكر الكاتب هذه القبيلة ويعرف فيها ويرى أنه ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم، ويقصد الكاتب فقط " إرم " أما قصة عاد والنبي هود عليه الصلاة والسلام فقد ذكـرت حـوالي عـشر مرات في القرآن الكريم بشيء من التفصيل، وقد أخذت على الكاتب قلة وفائه في البحث وعدم غزارة مادته، يقول صاحب الدائرة:

"- إرم ذات العماد – لم ترد في القرآن إلا في سورة الفجر، الآية (٦-٨): ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ ويمكن أن تفسر الصلة بـين عـاد وإرم في هذه الآيات على وجوه مختلفة كما فعل المفسرون: فإذا اعتبرت إرم مقابلة لعماد، فانه

---

(١) انظر الدائرة،ج٤/ ص٤١٤ .

من الواضح أن تعتبر إرم أيضا اسما لنفس القوم من الناس، ويمكن والحالة هذه أن يفهـم مـن العماد معنى قوائم الخيام.

ويقول مفسرون آخرون إن العماد إنما تشير إلى الشأن الرفيع الذي كان لقوم إرم، وهـو أسلوب في توكيد هذه الرفعة، أما إذا كانت الصلة بين إرم وعاد صلة إضافة، فإنـه يحتمـل أن تكون إرم ذات العماد تعبيرا جغرافيا يدل على مكان الاستيطان وهذا هو الـرأي الـسائد بـين المسلمين، على أن الآراء قد اختلفت في الشرق والغرب فيما يشير إليه هذا التعبيـر – ويـرى ياقوت – ويتبعه في ذلك الكثيرون. إن ذات العماد صفة لدمشق (انظر مادة دمشق) وفيها استقر جيرون ين سعد بن عاد وابتنى تحليها عمد من الرخام، وقد استغل لوث " loth " هذه الروايـة في تدعيم رأيه القائل بان اسم إرم لا يتصل إلا بالروايات الآرامية[١].

* يقول ابن كثير في بيان إرم ذات العماد:

"ومن زعم إرم مدينة تدور في الأرض فتارة في الشام وتارة في الـيمن، وتـارة فـي الحجاز، وتارة في غيرها، فقد أبعد النجع وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه، ويقال: " أن هودا عليه السلام أول من تكلم بالعربية، ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه الـسلام – العرب العاربة – وهم قبائل كثيرة: منهم عاد وثمود وجرهم وطسم و جديس.." وأما العـرب المستعربة فهم من ولد اسماعيل بن إبراهيم وكان إسماعيل أول من تكلم العربية الفصيحة البليغة وكان قد اخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم..

ومن زعم أن "إرم" مدينة من ذهب وفضة وهي تنتقل في البلاد فقد غاط وأخطأ وقال مـا لا دليل عليه"[٢]

ويقول محمد عبده: "عاد جيل من العرب العاربة أو البائدة كان هذا الجيل معروفا باسـم عاد ويلقب أيضاً بإرم وبقى مشهوراً عند العرب بذلك وذات العماد وصف لازم وهي قبيلة عاد نفسها ومعنى ذات العماد وسكان الخيام حلاً وارتحالاً أو ذات العماد الرفيع والقوة المنيعة عبر بالعماد عن العلو والشرف والقوة وكانت منازلهم بالرمال أو الأحقاف، إلى حضرموت وقد بلغت عاد من الشدة و القوة مبلغاً لم يصل إليه سواها في عهدها"[٣]

(١) انظر الدائرة، ج٤/ ٦٣٣.
(٢) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص٩٥.
(٣) تفسير جزء عم / محمد عبده، ص ٨٣

البينة:

تقول الدائرة:

" البينة: والجمع بينات، وهي مؤنث – بين – بمعنى: جلي، واضح، وقد وردت بمعنى – الدليل الواضح – في آيات كثيرة من القرآن الكريم (سورة البينة آية ١، ولذلك سميت السورة باسم سورة البينة) وتدل الكلمة في الاصطلاح الشرعي على الدليل القاطع، ذلك الذي يثبت بالشهادة، على الرغم من أن المصطلح أصبح منذ العصر القديم لا يطلق على الشهادة الشرعية فحسب، بل على الشهود أنفسهم أيضا"(١)

وقد أورد الكاتب كلاما عن آية الوصية في حالة الضرب في الأرض، يقول:

" وفي آيات القرآن الكريم الخاصة بأحكام الوصية (سورة المائدة: الآيات ١٠٦ – ١٠٨). يطلب من الشاهدين في حالة الريبة، أو وجود شاهدين آخرين يقومان مقامهما، أن يحلفا با ، بيد أن الرأي المتعارف عليه أن الحكم الوارد في هذه الفقرة منسوخ، وهو الحكم الوحيد في القرآن الكريم الذي ينص على ضرورة وجود شاهدين غير الأولين يثبت دليلهما بقسم: ويمكن تقديم بعض الأمثلة التي حدثت من حين لآخر، وبصفة استثنائية في ظل الإسلام، لقضاة طلبوا من شهود ارتابوا فيهم أن يقسموا"(٢)

ولنأت للآيات قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ۝ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ

---

(١) الدائرة ج ٩ / ص ٧٣ .
(٢) الدائرة ج ٩ / ص ٧٤ .

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة ١٠٦ – ١٠٨).

وهو حكم خاص بتشريع (شهادة على الوصية) في حالة الضرب في الأرض والبعد عن المجتمع وبيان الحكم: أن من أحس بدنو أجله ويريد أن يوصي لأهله وكان ضارباً فـي الأرض ولم يجد مسلمين فيجوز أن يكون الشاهدان من غير المسلمين، فإن ارتاب أهل الميت في صدق ما يبلغه الشاهدان وفي أمانتهما في أداء ما استحفظا عليه فانهم يوقفونهما بعد أدائهما للصلاة - حسب ديانتهما – ليحلفا با أنهما لا يكتمان شيئا من ما استحفظا عليه، وإلا كانا آثمـين، فـإذا ظهر أنهما ارتكبا إثم الشهادة الكاذبة قام أولى اثنين من أهل الميت من الذين وقع عليهم هذا الإثم بالحاف با أن شهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين، وبذلك تبطل شهادة الأولين، وهـذه الإجراءات أضمن في أداء الشهادة بالحق[1] وأنا استغرب من الكاتب يختصر مثل هـذا الحكـم بهذا الكلام ثم يقول إنه من المتعارف عليه انه منسوخ فما دليله ولم لا يفصل في مثل هذا الحكم المهم الذي تضمن حقاً مهماً وهو حق الوصية، فالآية هنا لا نسخ فيها وقد رد الإمام القرطبـي قول من قال أن قوله سبحانه "أو آخران من غيركم" منسوخ، فقال: "أن الآية لا نسخ فيها؛ قالـه الزهري والحسن وعكرمة؛ ويكون معنى قوله: "منكم" أي من عشيرتكم قرابتكم؛ لأنهـم أحفـظ وأضبط وأبعد عن النسيان. ومعنى قوله: "أو آخران من غيركم" أي من غير القرابة والعـشيرة؛ قال النحاس: وهذا ينبني على معنى غامض في العربية؛ وذلك أن معنى (آخر) في العربية مـن جنس الأول ؛ تقول: مررت بكريم وكرم آخر؛ فقوله: (آخر) يدل على أنه من جنس أهل الأول؛ ولا يجوز عند أهل العربية مررت بكريم وخسيس آخر؛ ولا مررت برجل وحمار آخر؛ فوجب من هذا أن يكون معنى قوله: "أو آخران من غيركم" أي عدلان؛ والكفار لا يكونون عدولاً فيصح على هذا قول من قال: "من غيركم" من غير عشيرتكم من المسلمين. وهذا معنى حسن من جهة اللسان؛ وقد يحتج به لمالك ومن قال بقوله؛ لأن المعنى عندهم "من غيركم" من غيـر قبيلـتكم؛ على أنه قد عورض هذا القول بأن في أول الآية (يا أيها الذين أمنوا) فخوطـب الجماعـة مـن المؤمنين"[2].

---

(١) انظر سيد قطب، ج٢/ص٩٩٣.

(٢) القرطبي، تفسير آيات الأحكام، ج٣، ص٢١٦. ط دار الفكر، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥.

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي في دائرة المعارف الإسلامية

ولقد أشارت دائرة المعارف إلى التفسير الموضوعي من خلال حشد آيـات وردت فيهـا ألفاظ تخص العقيدة وأخرى تخص الأحكام.

المبحث الأول

الآيات في ما يخص العقيدة من خلال الألفاظ التالية

أولاً: ا :

جاء الحديث عن لفظ الجلالة تحت لفظة "ا " وقد كان الكاتب في حقيقة الواقـع غيـر مؤدب مع خالقه وربه ومولاه، مهما تكن ديانته، وسيلحظ هذا:

قال الكاتب: "معرفاً لفظ الجلالة ا ، أنه: الكائن الأعلى للمسلمين وقد عرف النبـي (ﷺ) ا بأنه: الملك المنتقم الغيور وأنه سيحاسب الناس ويعاقبهم يوم القيامة، وبذا تحولـت الفكـرة الغامضة عن ا إلى ذات لها خطر عظيم، وتبدو أسماء ا الحسنى لأول وهلة خليطاً غريباً من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات. وهذه الصفات تصور كائناً غنياً بنفسه أبدياً، ومن العجيب أن صفة الضار يوصف بها الشيطان أيضاً في القرآن الكريم، وأما عن صـفاته المعنويـة فقـد وردت في قلة يشوبها الغموض فإنه يصعب علينا معرفة ما يقصده محمد من صفات "القـدوس، والسلام، والنور"[١].

* والنص يحتوي على نقاط أذكر منها:

١- تعريف الكاتب للفظ الجلالة "ا ".

٢- أن صفات ا تصور كائناً غنياً بنفسه.

٣- أن العجيب أن تطلق صفة "الضار" على الشيطان أيضا في القرآن الكريم.

* مآخذ على الكاتب:

* سوء أدب الكاتب:

---

(١) انظر الدائرة ج٥٦٣/٢.

من سوء أدب الكاتب ليس مع المسلمين فحسب بل مع جميع الديانات الأخرى، أنه يعرف ا جل وعلا وتنزه عن كلامه، فيقول: "إنه الكائن الأعلى للمسلمين" يخصه بالمسلمين، ويقـول: "إنه ذات لها خطر عظيم" ولا يزال مصراً على سوء الأدب فيقول عنه "كائننا".

الرد: فأقول وبا التوفيق:

أولاً: أن ا ليس إلها للمسلمين فحسب، فإذا أراد الكاتب أن يرسل برقية طعن للمـسلمين فأنـا أخبره أن هذه البرقية قد وصلت إلى جميع الديانات السماوية لأنها تعتبر ا الإله الأعظم، وترتجف عند نطق اسمه لكن هذا الشخص فإنه لا يتردد أن يصف ا جل وعـلا بهـذه الكلمات.

بل هو رب الكون كله باعتراف المشركين أنفسهم وباعتراف فرعون (ومـا أدراك مـن فرعون) الذي علا في الأرض وادعى الألوهية.

حكاية عن أهل مكة الذين أشركوا مع ا غيره قـال تعـالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام، ١٣٦).

وقال تعالى في حـق فرعـون: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس، ٩٠).

﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقـرة: ١٦٣) تعـالى ا عمـا يصفون علواً كبيراً.

ثانياً: إن الكاتب يصر على سوء الأدب ليس مع المسلمين بل مع ا ، إنه يحاول أن يربط بـين اسم ا الضار، ويجعله صفة للشيطان، تعالى ا عما يقول علوا كبيراً، وهو يحـاول أن يجد عاملاً مشتركاً بين ا والشيطان والعياذ با ، ويدعي الكاتب أن الشيطان قد وصـف بالضار في القرآن الكريم في سورة (المجادلة آية "٢").

"آية "٢" من سورة المجادلة لم يذكر الشيطان لا من قريب ولا من بعيد، وهذا أضعف في البحث وعدم الدقة والتحري، الآية في سورة المجادلة التي ذكر الشيطان فيها هي "آيـة ١٠ "، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة ١٠).

قد نفى ا بوضوح الضرر عنه فجعل هذه الصفة طارئة عنده ليست أساسية فكيف يقول انه من العجيب أن يصف القرآن الشيطان بها. فالمعنى الذي آرادته الآية أن الضرر الذي يمكن أن يلحقه الشيطان بالمؤمنين لا يكون إلا بمشيئة ا .

إبراهيم عليه السلام:

نص الدائرة: "انه في السور المكية لم يذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت ولا أنـه أول المسلمين، " انظر الحجر آية ٥، الأنعام آية ٧٤، الصافات ٨١، هود ٧٢، الأنبياء ٥٢، العنكبوت ١٥ " أما في السور المدنية فإبراهيم يدعى حنيفا مسلما وهو واضع ملـة إبـراهيم رفـع مـع إسماعيل بيته المحرم "البقرة ١١٨، آل عمران ٦٠ " وسر هذا الاختلاف أن محمد كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء فلم يكن له بد من أن يلـتمس غيـرهم ناصراً هناك فهداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب ابراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام(١).

* نلاحظ أن النص احتوى على نقاط عدة منها:

١- أن قصة إبراهيم عليه السلام انه واضع البيت وانه أول المسلمين لم يذكر في الـسور المكية، أما في المدنية فذكر ذلك.. ويرجع صاحب الدائرة السبب في ذلك أن النبي (ﷺ) اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن عادوه فكان لا بد له من أن يبحث عن عناصـر غيرهم، فاهتدى بذكائه الشديد إلى الحديث عن أبي العرب إبراهيم عليه السلام.

٢- يدعي صاحب الدائرة أن إبراهيم كان يهوديا وهي دعوى قديمة قدم الكتابة والقـراءة وما اسهل الرد على دعوى رد ا عليها ودحضها قبل أن يأتي صاحب الدائرة ويفكـر أن يدعي أن أبا العرب كان يهوديا فقال تعالى "ما كان ابراهيم يهودياً ولا نـصرانياً (آل

---
(١) الدائرة، ج١/ ص١٤٦.

عمران، ٦٧).

إن هذه الدعوى (مجرد دعوى دون دليل) تفرح قلوب اليهود أن ينـسبوا إبـراهيم لهـم ويجعلونه يهوديا وتشعرهم بالفخر بأن إبراهيم أبوهم وليس أبا العرب حتى إنهم نـسبوا قـصة الذبيح لسيدنا إسحاق عليه السلام يريدون أن يجعلوا كل الأنبياء يهوديو الديانة، يقول: صـاحب الدائرة ناسباً قصة الذبيح إلى سيدنا إسحاق عليه السلام: " ولما بلغ إسحاق السابعة مـن عمـره ذهب للسعي وأمر إبراهيم في منامه بأن يقدم قرباناً إلى ا فلما أصبح ذبح عجلا وفرق لحمـه وسمع في الليل صوتاً يقول إن ا يريد أن تذبح ابنك، فانتبه من نومه مذعورا، وقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك[1]

وللرد على ما تقدم من دعاوى أقول :

أولاً: نلاحظ من الكاتب عدم تحري الدقة في كتابته بقصد الطعن، فقد ذكرت قصة إبراهيم والبلد الآمن في سورة إبراهيم وهي سورة مكية.

قـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم آية ٣٥ - ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (إبراهيم آية ٣٩).

ويقول في سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞

(١) انظر الدائرة ٣ / ٢٦٢.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ (الصافات ٨٣ – ٨٨).

ويذكر في السورة السابقة وهبـه (غـلام) ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ (الـصافات: ١٠١)، ثم وهبه إسحاق، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾ الأنعام: ٨٤ وفي سورة الأنعام ذكـر إسماعيل وقال: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٨٦).

ثانياً: إن القارئ لكلام الدائرة يلحظ بكل سهولة التناقض الموجود في كلامـه فهـو يقـول أن إبراهيم كان يهوديا ويقول في ذات النص أن محمداً كان في مكة يتخذ اليهود أنصاراً لـه مع أنه لم يكن في مكة يهود على حد زعم الكاتب - فلما عادوه ما لبث أن بحـث عـن أنصارٍ غيرهم وهم العرب (عرب المدينة) فلو أن إبراهيم كان يهودياً كمـا يـدعي فهـو يكسب ود اليهود (يهود المدينة) وليس العرب.

فكلام الدائرة يلعن بعضه بعضاً، غير متوافق في شيء، أما أن يكون إبـراهيم أبـا اليهود ومحمداً لم ينو بإيواء قصة إبراهيم في العهد المدني كسب ود العرب ليجد أنصاراً غير اليهود، و إما أن يكون إبراهيم أبا العرب ونوى محمد أن يكسب ود العرب أنـصاراً له غير اليهود.

هذا فقط لبيان الاختلاف والتلاعن في كلام الدائرة وليس على موافقة مني على نية محمد (ﷺ) أو إثبات يهودية إبراهيم...

ثالثاً: لو سلمنا لصاحب الدائرة بنية محمد (ﷺ) وتخطيطه الذكي بان يجد أنصارا له غير اليهود، فأين نذهب بالتاريخ فإن أحدا من علماء التاريخ لم يشهد أن محمد (ﷺ) قد اعتمـد علـى اليهود في مكة على فرض وجود اليهود في مكة فالدائرة أول من يقول ذلك، بل كان كـل أتباعه من العرب والضعفاء والفقرآء، فلم لم تضرب لنا الدائرة مثالا واحدا اعتمـد فيـه الرسول (ﷺ) على اليهود في مكة؟ بل إنهم ناصبوه العداء من أول الدعوة حسداً من عنـد أنفسهم وحقداً وكراهيةً لأنه لم يبعث فيهم النبي الخاتم، فالمعروف تاريخياً أن اليهود كانوا

يتنبأون ببعثة الرسول الخاتم فيهم قبل بعثة محمد بأسابيع، وفي ليلة ولادة الرسـول (ﷺ) كانوا يقولون قد ولد اليوم خاتم الأنبياء فلما خرج من العرب غاروا وحسدوا وكذبوا بـل على العكس حاربوه وعادوه.

رابعا: لو سلمنا جدلاً أن إبراهيم كان يهودياً فهل يوافق التاريخ على ذلك !! هل توافـق كتـبهم المحرفة على ذلك؟! بنو إسرائيل أتباع موسى عليه السلام هم أبناء سيدنا يعقوب ويعقوب ابن إسحاق وإسحق ابن إبراهيم، فهل يقبل أن يتبع الجد ديانة ابنه، وهل يقبل عقلاً أن يتبع الميت ديانة الحي، هل قام سيدنا إبراهيم واتبع توراة موسى، عقلاً لا تقبل، لم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً بل إن موسى وعيسى جاءا بعده، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (آل عمران ٦٥).

وقـال تعـالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (آل عمران ٦٧).

خامسا: إن ذكر قصة سيدنا إبراهيم في العهد المدني كان له هدف وهو تحويل القبلة – فكانـت في مكة إلى القدس – فلما هاجر الرسول (ﷺ) إلى المدينة حولت إلى الكعبة المشرفة في مكة، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة ١٢٥ – ١٣٤).

سادسا: أما بالنسبة لقصة الذبيح فإن الكاتب يريد أن ينسبها لإسحاق عليه السلام والدليل على نقيض ما يقول من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الصافات ١٠٣-١١٢).

فكيف يورد الله عز وجل قصة الذبيح الذي هو إسحاق "دائرة المعارف"ثم يقول" وبشرناه بإسحاق.." فان كلام البشر يجل بهذا الخطأ فكيف بكلام الله عز وجل، وحتى لو على اعتقاد الكاتب أن هذا الكلام من تأليف محمد فليس من المعقول أن يسكت الصحابة عن هذا الخطأ الفادح وهم من أفصح العرب، إلا إذا كان من المعروف عندهم أن الذبيح هو إسماعيل عليه

السلام[1].

ويقول ابن كثير: "إن الاختلاف بين أهل الملل أن إسماعيل بكر إبراهيم وأول ولـد لـه، وهذا ما استدل ابن كعب القرظي (وهو من اليهود الذين أسلموا) على أن الذبيح إسماعيل وليس إسحاق بقولـه: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ (هـود: ٧١)

قال: فكيف تقع البشارة وانه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولـد ؟! هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة "[2]

جبريل:

نص دائرة المعارف: "ولجبريل شأن هام وقد اصطنع النبي (ﷺ) القصة التي تقـول بـأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه ويقول عن اسـمه ومن المحتمل أن النبي لم يسم لأول وهلة الروح الذي نزل عليه لان الآيات الـثلاث التـي ورد فيها اسم جبريل نزلت متأخرة إلا من رواية أول نزول القرآن حيث تذكر أن الوحي نزل أول ما نزل بجبل حراء حيث قفل النبي راجعا والصوت يسترسل قائلا: "يا محمد أنت رسول ا وأنـا جبريل" ولعل هذه الرواية إنما أضيفت فيما بعد"[3]

*** مناقشة النص:**

إن الكاتب يتكلم في قضايا خطرة حساسة ويبنيها على شك واحتمال فيقول: "من المحتمل" ولعل هذه الرواية... والبحث العلمي يبنى على أدلة ووقائع واضحة وصريحة.

انه يقول "من المحتمل" (والاحتمال نسبة صحته مساوية لنسبة خطئه)، يقـول: "إن النبـي (ﷺ) لم يسم لأول وهلة الروح الذي نزل عليه جبريل وهنا تناقض في كلامه هو يريد أن يطعن بالنبي (ﷺ) ولا يعرف فلو أنه قال: إن النبي لم يسم الروح التي ادعى أنها نزلت عليه بجبريـل لأصبح الطعن واضحاً وجارحاً في الصميم لكن يجعل التسمية بيد الرسول (ﷺ) ثم يقـرر أنهـا نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله " الروح الذي تنزل عليه".

ثم يعود الكاتب إلى الشك فيقول: "ولعل هذه الرواية إنما أضيفت فيما بعد" و"لعـل "تفيـد

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص١٤٥.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) الدائرة مادة جبريل، ج١٢/ص٤١٠.

الشك والشك نسبة خطأ المعلومة أكثر من نسبة تصحيحها، يكفيني رداً على صاحب الدائرة بأنه دائماً متشكك.

* الرد:

أقول: إن رسول الله ﷺ أمي لا يعرف القراءة ولا يعرف العبرية حتى يعرف اسم جبريل من التوراة ثم إن خبر قول جبريل "أنت رسول الله وأنا جبريل"[١] وارد في صحيح البخاري وقد تلقته الأمة بأجمعها بالقبول والإجماع خير دليل يدحض تشكك هذا الباحث فليحاول أن يقرأ – يكتب مرة أخرى على ظن غالب وليس شك مدحوض.

التوراة:

نص الدائرة: يقول: "ما صفة محمد في التوراة إلا رواية غير دقيقة للفقرات" ١ – ٤ من الاصحاح الثاني والأربعين من سفر أشعيا[٢]".

- يريد الكاتب أن ينفي وجود البشارة برسول الله (ﷺ) في الكتب السابقة وهذا الأمر ثابت لا يحتاج دليلاً سواء كان من الكتب السابقة أو ما حمله الدليل من القرآن وفي هذا يقول الدكتور عبد العظيم المصطفي: "إن وجود البشارات وعدمها سواء، أجل إن وجودها وعدمه سواء في الكتب السابقة، فرسالة الإسلام ليست بحاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد الدليل الخارجي بطلت – لا سمح الله – تلك الرسالة فهي رسالة دليلها فيها وجود البشارات بها في كتب متقدمة - زمنا – عليها لا يضيف إليها جديداً وعدم وجودها لا ينال شيئاً قطعاً"[٣].

هذا كلام صحيح فان الإسلام لا يحتاج إلى دليل وهل يحتاج ضوء الشمس إلى دليل طبعا لا، لكن أقول وبالله التوفيق:

الرد:

قد يحتاج النبي ﷺ إلى شيء معجز يثبت صدق النبوة؛ وعليه فإن الله جل وعلا يرسل بالمعجزات دليلاً على صدق النبوة ولكن هذا الأمر في جميع الديانات ما عدا الإسلام، فالمعجزات التي جاءت تجعله مساوياً للأنبياء السابقين، فقد جاءت المعجزات للدلالة على صدق

---

(١) أخرجه النجار، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم ٦٥٨١.
(٢) الدائرة، ج٦ / ص٢.
(٣) انظر حقائق الإسلام، ص٣٢.

الرسالة لكن لا تكفي للدلالة على أنه خاتم الأنبياء وسيدهم ولو أن الأنبياء أحيـاء فـي عـصر الرسول محمد (ﷺ) ما وسعهم إلا اتباعه، إن وجود البشارات في الكتب السابقة وثباتها للان مع محاولات التحريف، ومن أكبر الأدلة على ذلك ليس لان الإسلام بحاجة أو بغير حاجـة بغـض النظر لكن لإقامة الحجة على أهل الكتاب ليس فقط في عصر الرسول (ﷺ) بل في كل العصور إلى يوم القيامة جاءت الآيات القرآنية تثبت أن البشارة جاءت في التوراة والإنجيل بهذا النبي ﷺ.

ومن الغريب من صاحب القول مقابل أن ينفي وجود البشارة يجعل روايات التوراة غيـر دقيقة، يكذب ديانته ويعترف بتحريفها مقابل أن يثبت أن البشارة غير صادقة وقبل هذا وذاك نجد أن القرآن اثبت وجود البشارة عندهم "في التوراة والإنجيل"، قال تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف ٦).

وجاء في سفر التثنية (ج٣٣/١-٢): ". فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سـعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم".

فمجيء الرب من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام وإشراقه من ساعير إعطـاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام وتلألؤه من جبل فاران فهو إنزال القرآن الكريم علـى محمـد لأن فاران مكة المكرمة"[1]، والدليل على ذلك ما ورد في حق اسماعيل عليه السلام في سفر التكوين (٢١/٢٠-٢١): "وكان ا مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس (٢١) وسكن في برية فاران وأخذت له أمة زوجه من مصر"[2].

التحريف:

قالت الدائرة عن التحريف بعد أن أشارت إلى الآيات التي وردت فيها لفظـة التحريـف ومعنى التحريف والمناسبة التي يستعمل فيها محمد لفظ حرف والتعبير عنها بلفظة أخرى مثـل يخفي: " كان اتهام التحريف في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطيـر حيـث احتك في المدينة المنورة، فإن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطـوى علـى

---

(١) مختصر كتاب إظهار الحق للعلامة رحمة ا الهندي، تحقيق د. محمد ملكاوي، ص٢٢٠.
(٢) المرجع نفسه.

إدراك خاطئ آثار عليه النقد والسخرية، من جانب اليهود فكان في نظرهم مبطلا. ولما كان اعتقاده انه رسول موحى له قوياً لا يتزعزع لم يبق له غير مخرج واحد ذلك أن اليهود عمدوا آثمين إلى تحريف الكتب وأنه هو الذي أتى بالنص الصحيح وهي دعوى جزئية يسرها عليه أن هذه الكتب كانت مجهولة تماما من اتباعه المؤمنين بصدق كلامه"(١).

ويقول: وفيما يستوقف النظر أن خصومه استطاعوا أن يتهموه بتبديل ما أوحى إليه (سورة يونس ١٦) والحق انه دافع عن نفسه بقوة فيما اتهموه به من أنه بدل ما أوحي إليه وكان من نتيجة الطريقة المبهمة التي تحدث بها محمد عن التحريف أن ذهب علماء المسلمين مذاهب شتى في تقديرهم للحقائق التي يقوم عليها هذا الاتهام(٢).

* والكاتب يريد أن يقول:

١- أن التحريف اتهام لأهل الكتاب هم الرئيون منه إنما اتهم محمد به أهل الكتاب فكانت خير وسيلة للدفاع هي الهجوم واتهامهم بالتحريف.

٢- استطاع خصومه أن يتهموه بتبديل ما أوحي إليه.

- واضحة هي الشبهة التي أراد الكاتب أن يلصقها بالرسول الكريم (ﷺ) وبذات اللحظة أن ينتزع تهمة التحريف عن اليهود، فنقول:

الرد:

١- لم يعرض الرسول (ﷺ) الوقائع والشرائع التي في التوراة بل لم تكن بين يديه من يعرضها وهو أمي لا يقرأ، ولو قرأ من أين له بالعبرية حتى يقراها فهو عربي.

٢- من أين جاء الكاتب بقصة النقد والسخرية فلم يسجل التاريخ أن أحدا من الكتاب انتقد الرسول (ﷺ) أو سخر منه، فكيف يسجلها الآن !! بل أقول: إن اليهود من خوفهم وجبنهم دخلوا الإسلام ظاهريا وكتموا كفرهم حتى كانوا من المنافقين ولم يسجل لهم سجل من الشجاعة حتى يرفعوا أصواتهم ويسخروا مما جاء به محمد (ﷺ) ، بل سجلهم حافل بالجبن والنفاق والغدر والخيانة ومازال السجل مفتوحا للآن.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

(١) انظر الدائرة، ج٤، ص٦٠٤ - ٦٠٥.
(٢) الدائرة، ج٥/ ص.٢٣٧.

بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس ١٥-١٦)

يقول سيد قطب في ظلال هذه الآيات:

"هو طلب عجيب لا يصدر عن جد، إنما يصدر عن عبث وهزل وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن وجدية تنزيله وهو طلب لا يطلبه إلا الذين لا يظنون انهم سيلقون ا ..

قل يا محمد لهم إنها ليست لعبة لاعب ولا مهارة شاعر إنما هو الدستور الشامل الصادر من مدبر الكون كله وخالق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه فما يكون للرسول (ﷺ) أن يبدله من تلقاء نفسه وإن هو إلا مبلغ للوحي الذي يأتيه وكل تبديل فيه معصية وراءها عذاب يوم عظيم[١]".

هذه الآية دليل مع الرسول (ﷺ) وليست ضده وليس فيها ما يدل أن أحداً يتهمه بالتبديل أو التحريف بل هم يطلبون منه ذلك وهو يأبى ويرفض ذلك فالمسألة كما هو واضح مسألة طلب بالتبديل وليس اتهام!.

الجنة:

بدأ الكاتب كلامه عن الجنة وورودها في القرآن الكريم وماهية الجنة في القرآن الكريم واصل الكلمة وتكلم كثيراً عنها وقد أوردت جزءاً من كلامه عن الجنة، قال صاحب الدائرة:

الجنة: هي الاسم الذي يطلقه القرآن والحديث غالباً على الفردوس الذي هو مقام المقربين وقد ذكرت مرة واحد في القرآن الكريم بالإسم الفارسي "الفردوس". وقد عرف أن الفكرة عن الجنة مادية حسية، وقد صورت هذه الفكرة في سور كثيرة تتصل بالفترة الأولى من دعوته. ومن البين أن هذه الأوصاف جميعا صور مرسومة لا شك أنه أوحى بها من فن التصوير ولا بد من أن يكون محمد ومعلموه المجهولون قد رأوا بعض التصاوير لبعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس. وفي سورة الرحمن وهي السورة التي صيغت في قالب أنشودة لها

(١) سيد قطب ٣ / ١٧٧١.

لازمة يتحدث محمد عن الجنتين اللتين أعدتا لمن خاف مقام ربه وليس تفسير هذه الاثنينية يسيراً إلا إذا كانت من أجل البحرين، وقد يقال إن النبي قد التزم في هذا المقام صيغة المثنى لأنها أوقع في السمع[1].

* نسجل من النص السابق نقاطاً عدة نذكر جزءاً منها:

١. تعريف الجنة بأنها: اسم يطلقه القرآن والسنة على الفردوس الذي هو مقام المقربين.

٢. أن الفردوس ورد في القرآن بالاسم العربي الفارسي.

٣. أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية.

٤. أن فكرة محمد عن الجنة أخذها عن النصارى.

٥. أن سورة الرحمن صيغت في قالب أنشودة.

٦. استخدامه لصيغة التضعيف وقد يقال إن النبي قد التزم صيغة المثنى..

*** الشبهات الواردة في النص:**

إن الكاتب من خلال هذا النص يدخل على الإسلام ما لا يقرب من الصحة شيء:

أولاً: يدعي الكاتب أن "الفردوس " لفظ غير عربي "وهو فارسي الأصل".

فنقول وبا التوفيق: قال ا تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء ١٩٣-١٩٥).

وقد نصت كثير من الموسوعات غير الدائرة على أعجمية بعض الألفاظ من مثل: (آدم، أباريق، إبراهيم، أرائك، فردوس، إستبرق.) فيقول الدكتور عبد العظيم المطعني رداً على كل من يدعي وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم :

١. إن وجود مفردات غير عربية الأصل في القرآن أمر أقره علماء المسلمين قديما وحديثا.

٢. أن الكلمات التي يدعون أنها غير عربية الأصل إنما هي مفردات أسماء أعلام أو صفات (هذا كله إذا سلمنا أن الألفاظ أعجمية).

---

(١) الدائرة ١٢ / ٤١٥ – ص ٤١٨.

٣. أن هذه الألفاظ غير العربية التي وردت في القرآن الكريم وان لم تكن عربية الوضع اللغوي فهي عربية باستعمال العرب لها قبل عصر نزول القرآن وفيه، وكانت سائغه ومستعملة بكثرة في اللسان العربي قبيل نزول القرآن وبهذا الاستعمال فارقت اصلها غير العربي[١].

ويقول القرطبي: والفردوس البستان بالرومية، وقال الفراء: هو عربي والفردوس حديقة في الجنة وفردوس اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس..

قال أمية بن أبي الصلت:

كانت منازلهم إذ ذاك طاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل.

وكرم مفردس أي معرش[٢].

الشبهة الثانية: أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية.

إن ضيق نظر الكاتب وقلة بحثه وقصر يده لم يعرف أن نعيم الجنة المعنوي اعظم واكثر لكن ما حيلته وهو قصير اليد عن البحث والمثابرة لكي تكون صحيحة وقوية فهو يقول أن الجنة تكون مادية ولم يطلع أو يذكر الأدلة على النعيم المعنوي العظيم الذي لا يقدر بإلمامه اذكر جزء منها لكثرتها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف آية ٤٢-٤٤).

(١) انظر حقائق الإسلام في مواجهة الشبهات، محمد زقزوق، ص55.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦/ص٢٦.

٢. قوله تعـالى: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۞ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۞ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة ٨-١١).

يقول القرطبي: "ذكر ا تعالى فيما ينعم به على أهل الجنـة نـزع الغـل مـن صدورهم وانتزع الغل والحقد الكامن في الصدور أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من غل في الدنيا وقد قيل أن ذلك سيكون عن شراب الجنة، ولهذا قـال: ". ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان ٢١) [١].

٣. ويذكر الرسول (ﷺ) في الحديث القدسي: " أن ا عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهـل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك، فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يـا رب ؟ فيقول: ألا أعلمكم أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده أبدا"[٢] وغيرها كثير من الأدلة.

ومن أعظم النعيم المعنوي في الجنة رؤية ا تعالى الذي يشكك فيها صاحب الكتاب، قال أبو هريرة: قلت لرسول ا : هل نرى ربنا ؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس، والقمـر ليلة البدر، وقال كذلك: لا تتمارون في رؤية ربكم[٣]ودليل ذلك من القرآن قوله تعـالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ (يونس ٢٦) الزيادة هي الرؤيا، وقوله ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ (القيامة ٢٢-٢٣)، وقوله ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ (المطففين ١٥)، يقول الشافعي: ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل"[٤].

الجن:

وردة مادة الجن في الدائرة تحت لفظ "الجن" وتكلم الكاتب عن مادة خلق الجن واشـتقاق

(١) القرطبي ٤ / ١٣٣
(٢) مسلم باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط علكيم أبداً ج٤/ ص ٢٨٢٩.
(٣) البخاري ح ٨٠.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧٩.

كلمة الجن وما يدعونه في العادة من الألفاظ غير العربية في القرآن:

فقال الكاتب: "وخلق الجان من نار والإنسان من صلصال والملائكة من نـور، علـى أن الجن يثابون فقد بعث ا النبي (ﷺ) إلى الجن كما بعثه إلى الإنـس وصـلة ا لجـن بـإبليس غامضة، فقد جاء في سورة الكهف أن إبليس كان من الجن، وفي البقرة يفهـم أنـه كـان مـن الملائكة، ويميل أصحاب المعاجم من المسلمين إلى اشتقاق كلمة جن من الاجتنان أي الاسـتتار غير أن هذا الاشتقاق بعيد للغاية، كما أن القول باشـتقاقها مـن كلمـة " genius " لا يـستبعد كثيراً[١].

* نلاحظ من هذا النص نقاطاً عدة أوردها الكاتب عن الجن نذكرها :

١. بيان مادة خلق كل من الإنسان والملائكة والجان.

٢. أن طبيعة صلة الجن بإبليس غامضة.

٣. يذكر أن أصحاب المعاجم يميلون إلى اشتقاق كلمة الجن من الاستتار من دون توثيـق ويعتبره بعيد ويقرب اشتقاقه من " genius " دون دليل.

* الشبهة المدخلة أثناء الكلام:

- جعل إبليس الذي هو عدو الإنسان الأول من الملائكة، ومن يجعل إبليس في خانـة الملائكة فهو كذلك عدو للإنسانية جمعاء" كما يقولون فقد أدخل السم بالدسم .

والرد على الشبهة كالآتي:

أقول وبا التوفيق: يستحيل أن نضع إبليس في خانة الملائكة إلا قبـل عـصيانه فكـان الشيء الوحيد الذي يضعه في خانتهم هو طاعته فلما عصى، خرج من خانتهم ودليل ذلـك: أن إبليس يفتخر بخلقه من نار، يقول: ".. قال أنا خير منه خلقتني من نـار وخلقتـه مـن طـين " (الأعراف ١٢)، قال الحسن البصري: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وانه لأصل الجن كما كان آدم أصل البشر"[٢] - ولا تناقض بين سورة البقرة وسورة الكهف فـسورة البقـرة لـم تظهر ولم تفد أن إبليس كان من الملائكة، بل الموضوع أن إبليس كان مع الملائكة من زمرتهم وليس من صنفهم فاستثنى إبليس من الملائكة، وليس منهم وهذا يحدث بالعربية ونتحدث به كثيرا ويسمى استثناءاً منقطعاً فنقول مثلاً: (جاء الفلاحون، ماعدا الحمار) فليس استثناء الحمـار مـن

(١)الدائرة، ج١٢/ ص٤٠٤.
(٢) ابن كثير، ج٣ / ص١٢١.

الفلاحين يجعله فلاحاً، بل لأن الحمار ملازم للفلاح لكثرة استخدامه صح لنا أن نستثنيه من غير جنسه، ومن قال إن الاستثناء الوارد متصل فلأنه كان جنياً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم[(١)].

- وجاءت سورة الكهف تبين الجان من أي عنصر هو، جاء في الدليل القاطع تبين أنـه من الجن، وقد وجدت كلاما للدكتور محمد عمارة، رأيت من المفيد أن أنقله.

يقول: "إن عموم الملائكة لا يعصون ا ، فهم مفطورون ومجبولون على الطاعة لكن هذا لا ينفي وجود صنف هم الجن ومنهم إبليس شملهم القرآن تحت اسم الملائكة كما وصف أيـضا بأنهم جنة لخفائهم واستتارهم وهذا الصنف منهم الطائعون ومنهم العصاة"[(٢)].

يقول محمد عبده: " أي سجدوا إلا إبليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من الآيـة وأمثالها في القصة إلا آية الكهف فهنا ناطقة بأنه كان من الجن وليس عندنا دليلٌ على أنه بـين الجن والملائكة فصلا جوهريا يميز أحدهما عن الآخر وإنما اختلاف أصناف عنـدما تختلـف أوصاف، من الظاهر أن الجن صنف من أصناف الملائكة وأطلق القرآن لفـظ الجنـة علـى الملائكة علـى رأي الجمهـور بقولـه تعـالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (الصافات ١٥٨)[(٣)].

جهنم:

درست جهنم في دائرة المعارف تحت لفظ "جهنم"، وعلى عادة الـدائرة فـإنهم ينـسبون الألفاظ إلى العبرية وينزعون أصلها العربي:

تقول الدائرة: "وهي كلمة مشتقة من اللفظ العبري جيحنون أدوانـي هنـوم، والواقـع أن محمدا في بعض الآيات يتحدث عن جهنم وكأنها شيء يحمـل ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ (الفجر ٢٢-٢٣)، ثم تابع كلامه بأن ذكر جهنم تردد كثيراً في القرآن الكريم. وأشار إلى الآيات التي وردت فيها لفظـة جهـنم

(١) انظر الزمخشري، ج١ / ص٦٢ - ٦٣.
(٢) محمد زقزوق، حقائق الإسلام، ص٥٣.
(٣) انظر حقائق الإسلام، ص٢٧٥.

وصفاتها وحال أهلها.

ولا يكاد القرآن يذكر شيئاً عن ألوان العذاب في جهنم فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي لم يكن من الفلاسفة المتفكرين[1].

* من خلال النص نلحظ نقاطاً عدة من أهمها:

١- جهنم في اصل وصفها عبري وليس عربياً.

٢- وصف محمد جهنم في آية الفجر بأنها شيء يحمل.

٣- أن القرآن لا يذكر شيئاً عن ألوان العذاب.

٤- تردد القرآن بشأن مسألة الخلود في جهنم.

- وما يلحظ على صاحب الدائرة قبل ذكر شبهه أريد أن يتوقف فكره في ضوء تفسير الآيات:

١- وجود غير العربي في القرآن الكريم .

٢- القرآن لا يذكر شيئاً عن ألوان العذاب.

٣- تردد القرآن بشأن الخلود (وعدم حسمها).

- قبل الرد على هذه الشبهة أحببت أن أورد كلام سيد قطب في تفسير آية الفجر، يقول:

"فأما مجيء ربك والملك صفاً صفاً فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض، ولكنا نحس وراء التعبير بالجلال والهول، كذلك المجيء بجهنم تأخذ من قربها منهم وقرب المقربين منها وكفى فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيب ا المكنون لليوم المعلوم إنما يرتسم وراء هذه الآيات ومن خلال موسيقاها الحادة التقسيم الشديدة "الأسر مشهد ترتجف له القلوب وتخشع له الأبصار والأرض تدك دكا، والجبار المتكبر يتجلى ويتولى الحكم والفيصل ويقف الملائكة صفا صفا، ثم يجاء بجهنم فتقف متأهبة هي الأخرى"[2].

---

(١) الدائرة، ج١٣/ ص٤.

(٢) سيد قطب ٦ / ٣٩٠٦

الرد:

- أما عن وجود غير العربي في القرآن الكريم فلقد رددنـا عليـه عنـد لفـظ الجنـة " الفردوس".
- وأما أن القرآن لا يذكر شيئا عن ألوان العذاب:

فلو سلمنا له بان القرآن لا يكاد يذكر شيئاً عن العذاب، نقول:

نكتفي بما ورد به وبالسنة (المكملة للقرآن الكريم) ففي الحديث تفـصيل كبيـر عـن عذاب جهنم هذا لو سلمنا له بذلك، لكننا لا نسلم فقد ورد تفصيل لعذاب أهـل النـار، ففـي سورة الواقعة يفصل في عذاب أهل النار، يقول تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (الواقعة ٤١-٤٤).

ثم يقول في السورة نفسها: "ثم إنكم أيها الضالون المكذبون، لآكلون من شـجر مـن زقوم، فمالئون منها البطون، فشاربون عليه من الحميم، فشاربون شرب الهيم، هذا نزله يوم الدين "..(الواقعة ٥١ – ٥٦).

وفي سورة الغاشـية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝ ﴾ (الغاشية ٢- ٧)، وكثيرة هي الآيات التي تبين. طعام أهل جهنم وشرابهم وتبين كيف تبدل الجلـود كلمـا نـضجت جلودهم وتبين ما لباسهم...

* أما عن تردد القرآن في مسألة الخلود، فقد حسم القرآن الكريم مسألة الخلود ولـم يتردد كما وصف صاحب الدائرة.

قـــال تعـــالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر ٧٢)..

ويقول تعالى ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان ٦٦) وأنا لا أريـد أن اذكـر جميع الآيات بل تكفيني آية الفرقان تقرر مسالة الخلود وكفى..

المبحث الثاني

تفسير الفاظ وردت في آيات الأحكام

الصلاة:

درست مادة الصلاة في الدائرة تحت لفظ "الصلاة" وقد بدا الكاتب بالحديث عن اشـتقاقها وعن ظهورها، وعن تشابه صلاة المسلمين بالصلاة اليهودية، يقول الكاتب:

"ومن ثم فنحن نجد فجأة الصلاة الوسطى تظهر في السور المدنية وهي " البقـرة، الآيـة ٢٣٧ " ولا بد إذن أن تكون هذه الصلاة قد أضيفت في المدينة إلى الصلاتين المعتادتين. ويرجح أن يكون ذلك قد تم محاكاة لليهود الذين كانوا يقيمون أيضا صلاتهم ثلاث مرات كل يوم[1].

ولعل الكاتب لا يوجد لديه ما يقول فيرجع إلى قوله المتكرر دائما ومعلومته الـشاك فـي أمرها أن هذا الأمر مأخوذ من اليهود، وهو يفصل في أحكام الصلاة أنها تشبه أحكـام الـصلاة عند اليهود، سواء في نظام الصلاة وإضافة الصلاة الوسطى، وكذلك السجود والتهجد والتـسليم. يقول: " يكشف نظام الصلاة عند المسلمين عن تشابه كبير بصلاة اليهود والمسيحيين"[2].

ثم يقول:

"أما كيف تقررت الصلوات الخمس فيجيب عن ذلـك " هوتـسما " قـائلا:" إن صـلاتي منتصف النهار (الظهر والعصر) وصلاتي المساء (المغرب والعشاء) ما هي إلا صورة مكررة للصلاة الوسطى وصلاة العشاء على التوالي، وهو ما يمكن رده إلى عدم وجود الوسائل الدقيقة لتحديد مواقيت الصلاة، كما كانت الحال في حياة النبي"، ويذهب " جولدتسيهر " إلى عكس هذا، أي إلى القول بوجود اثر فارسي في تقرير الصلوات الخمس، ويلفت كايناني النظر إلى أن العدد خمسة لم يكن قد تقرر نهائيا في عهد عمر بن عبد العزيز"[3].

أقول، والأصل أن توجد تلك الأحكام وتلك العبادات متشابهة بين الأديان بما أن المـصدر والغاية واحدة، فادعاء التشابه لا يضر على الإسلام شيء ولا يضر على صلاة المسلمين شيء، ولكن أقول في هذا المقام قولا للرافعي – رحمه ا – يدفع هذا التـشابه وذاك بـسبب تحـول الإنجيل والتوراة وتحريفهما ولو بقيت على اصلها لبقي التشابه، يقول الرافعي: " ا اكبـر، إن هذه الكلمة يدخلون بها إلى صلاتهم كأنما يخاطبون بها الزمن انهم الساعة في وقت ليس منه ولا

---

(١) الدائرة ج ١٤ / ص ٢٨١

(٢) الدائرة ص ٢٧٨

(٣) الدائرة ج ١٤ / ص ٢٨٢

من دنياهم وكأنهم يعلنون انهم بين يدي من هو اكبر من الوجود. لقد تعبت الكتب الفلسفية لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة في سكينة ا عليهم فما أفادت، وجاءت الكنيسة فهولت على المصلين بالزخارف والصور والتماثيل والألوان لتوحي إلى أنفسهم ضربا من الشعور بـسكينة الجمـال وتقديس المعنى الديني وهي بذلك تحتال في نقلهم من جوهم إلى جوها فكانت كساقي الخمـر أن لم يعطك الخمر عجز عن إعطاءك النشوة ومن ذا الذي يستطيع أن يحمل معه كنيسة على جواد أو حمار، إن هؤلاء المسلمين معبدهم بين جهات الأرض الأربع[١].

وتقول الدائرة: "ومن ثم يجب ملاحظة أن وصية عمرو لعروة بالحذر في ذلك لـم تكـن تنصب على العدد خمسة بل كانت تنصب على الحرص على مواقيت الصلوات، وهـذا الأمـر الأخير بطبيعة الحال موضع مناقشة في كتب الأحاديث الصحاح وهو جـدير ببحـث مـستقل وعندما أصبحت نظرية الصلوات الخمس اليومية المفروضة أمرا مقررا لم يكن من المـستطاع حتى ذلك الوقت إقرارها تماما"[٢].

قلت وهذا تشكيك غريب عجيب من قبل الكاتب ولا ادري عنه ما باله، هل هو عاجز عن البحث العلمي الدقيق، أم انه قاصد ما يقوله، وهو يعلم أين الحـق، فهـو يقـول أن الـصلاة المفروضة في حياة الرسول (ﷺ) كانت ثلاث صلوات وهذا التشكيك لايقوم أمام حجية التـواتر، قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، وفي حديث المعراج ما يثبت ذلك، فهو يفيد العلم اليقينـي، وهـل يبقى شيئ واضح إذا احتاج ضوء الشمس إلى دليل.

الصوم:

درست مادة الصوم تحت لفظة "الصوم" وكعادة الكاتب لم يرجع إلى مراجع أكثر فائدة من مرجع مقصده ونيته ولو رجع لأحضر معلومات أكثر فائدة من التي ذكرها.

تقول الدائرة:

"صوم: ويدل على ظهور الصيام باعتباره رياضة روحية غايتها قهـر الـشهوات بـين المسلمين الأولين في مكة ما يغلب على الظن من أن محمداً عليه الصلاة والـسلام وهـو فـي أسفاره الكثيرة، لاحظ هذه العبادة عند اليهود والنصارى. لكن لا يمكن القول بشيء يقينـي فـي ذلك: والذي تحكيه لنا في ذلك السيرة والروايات الإسلامية يجوز أن يكون غيـر بـريء مـن

(١) انظر وحي القلم: مصطفى الرافعي ١ / ٢٤
(٢) الدائرة ٤ / ٢٨٢

الغرض، ففي السور المكية ورد ذكر الصوم، كما تقدم القول، في سـورة مـريم، الآيـة ٢٥: صوت، يأمر مريم (عليها السلام) أن تقول: "إني نذرت للرحمن صوما، فلن أكلم اليوم انـسيا، "ويجوز أن الصوم هنا ليس معناه سوى "الصوم": بمعنى الإمساك عن الطعـام والـشراب، لأن الإمساك عن الكلام باعتباره صوما نصرانيا"[١].

وكعادة الدائرة فهي تدعي التشابه بين أحكام الإسلام وأحكام اليهود والنصارى وأن محمدا (ﷺ) أخذ عبادة الصوم من اليهود من خلال أسفاره، هو يقول ذلك بعد أن قال أن هـذه العبـادة ظهرت بين المسلمين الأولين في مكة كرياضة روحية فلا ادري هل ينسى الكاتب ما يقـول أو يتناسى.

ونلحظ من الكاتب عدم ثباته على رأي واحد فمرة يقول: أن صوم مريم "يجـوز" وهـي عبارة - تفيد التشكيك والظن - أن يكون معناه الإمساك عن الكلام، ومرة يقول انه الإمـساك عن الطعام.

الجزية:

وردت الجزية في الدائرة تحت لفظ "الجزية" وقد قام بتفسير آية التوبة" وهم صـاغرون" أنهم ذالون وقد أرجع اتصاف أهل الكتاب بصفات مزرية إلى هذه الآية:

فقال الكاتب: "وجاء في الآية الخاصة بالجزية انه على الذميين أداؤها" وهـم صـاغرون "ويرى البعض استناداً على هذه العبارة أنه يجب عليهم أداؤها على نحو فيه إذلال والـراجح أن الأوصاف المزرية التي خلعت على ملبوس أهل الذمة إنما هي تفسيرات لهذه العبارة، والجزيـة من وجهة النظر العربية هي ضريبة الرؤوس. وفي العراق، تفادٍ للـضرائب اتخـذت صـورة الدخول في الإسلام فقد رأى الداخل في الإسلام أن حالته الجديدة سوف تعطيه من جميـع تلـك الشبكة المالية التي تفرض على غير المسلم[٢]، ويعني بذاك ضريبة الأرض وضريبة الرؤوس.

* نلاحظ أن النص قد جاء بأمور عدة أذكر منها :

١- انه يفسر الآية ويقول إن كلمة "وهم صاغرون "أنهم لا بد وأن يـؤدوا الجزيـة وهـم ذالّون.

٢- يجعل الكاتب سبب خلع الأوصاف المزرية على أهل الذمة الآية السابقة.

(١) الدائرة ج ١٤ / ص ٣٩٦.
(٢) انظر الدائرة ١٢ / ص٤ - ١٠.

٣- يصف الكاتب الداخلين في الإسلام منه أهل العراق تفاديا لدفع الضريبة.

* مآخذ على النص وقد أخذ على الكاتب نقطتين :

١- خطأ في تفسير الآية.

٢- أن الداخلين في الإسلام كانوا خوفا من دفع الفدية.

- أما عن تفسير الآية:

فأولاً: قال تعالى: " قاتلوا الذين لا يؤمنون با ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم ا ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (التوبة ٢٩)..

وهذا أمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين ا حتى يعطوا الجزية عن يـد وهـم صاغرون، فلم تعد تقبل منهم عهود وموادعة ولا مهادنة إلا على هذا الأساس، أسـاس إعطـاء الجزية وفي هذه الحالة تتقرر لهم حقوق الذمي المعاهد، فأما إذا هم اقتنعـوا بالإسـلام عقيـدة فاعتنقوه فهم من المسلمين[1].

- الشبهة الثانية : الإسلام انتشر خوفاً من دفع الجزية:

هذه شبهة قديمة بأن الإسلام انتشر بقوة السيف وخوفاً من دفع الضرائب لكن نقول:

الرد: لو كان انتشار الإسلام بقوة السيف وخوفاً من دفع الضرائب لما كان معنـى للآيـة الكريمة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقـرة: ٢٥٦) وقولـه تعـالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، ثم إن خصائص الانتشار كانت واضحة لجميع الناس ومن هـذه الأوصاف:

١. عدم إبادة الشعوب.

٢. جعل العبيد حكاماً.

---

(١) انظر سيد قطب ٣ / ١٦٢٠

ظل اليهود والنصارى والهندوك في بلادهم آمنين مستقرين، وهذه الجزية لا تـدفع مـن أجل إذلالهم ولا مقابل هذا الأمن والاستقرار بل هذه الجزية إظهار لقـوة المـسلمين وعـراقهم وعزتهم بالإسلام.. والدليل أنهم لم يفرضوا الجزية على الفقراء وكلنا نذكر العهدة العمرية.

الفصل الثالث

القصص القرآني ومنهج البحث في التفسير في الدائرة

المبحث الأول

القصص القرآني

١- قصة سيدنا آدم عليه السلام.

جاء الحديث عن قصة سيدنا آدم تحت لفظة "آدم" ولقد أورد الكاتب الآيات التـي تحـدثت عن إخبار ا الملائكة بخلق آدم وتعليمه الأسماء كلها وأمرهم بالسجود لآدم وعـصيان إبلـيس ربه في ذلك وتكبره على آدم، وطرد إبليس من الجنة، وإسـكان ا آدم وزوجـه فـي الجنـة وتحذيرهما من أكل الشجرة ثم أعقب ذلك. بني الإنسان ثم هبوط آدم من الجنة وسؤاله الـصفح من ربه ثم ذكر (انه كان بين ا و آدم عهد من قبل ولكن آدم نسيه، فقال تعالى : الآية ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (طه آية ١١٥).

ثم أخذ الكاتب بعد ذلك ذكر عناصر قصة آدم غير الواردة في التوراة - حسب قوله - من الروايات اليهودية والروايات المسيحية، وكأنه يحاول المقارنة بما جاء في القرآن فيقـول: "ونجد العناصر غير الواردة في التوراة من قصة آدم ماثلة في الروايات اليهوديـة، بـل فـي الروايات المسيحية في بعض الحالات، ونحن نعرف حديث ا تعالى مع الملائكة قبل خلـق آدم ورجحان[1] آدم عليهم لعلمه بالأسماء، من مجموعة برشيت ربا (ص١، ص٤) و مجموعة ربـا ومجموعة السقتا، وفي الكتابات اليهودية أن السجود لم يكن بأمر من ا بل أراد الملائكـة أن يشرفوا آدم كما شرفه ا ، فحال بينهم وبين ذلك أن ا جعـل آدم ينـام.. وجـاء فـي كتـاب (VitaAdami) أن الملك ميكائيل سجد لآدم ودعا سائر الملائكة أن يحذو حذوه، ويفهـم مـن الكتاب ضمنا أيضا أن ا أقر ذلك..وفي الرواية اليهودية أن الطين الذي خلق منه جسد آدم قد أخذ من مكان المعبد أو من العالم كله بألوان مختلفة، ثم صور أولاً جسدا بـلا روح. والكتـب اليهودية تتبع قصة التوراة التي جاء فيها أن الحية هي التي أغوت الإنسان وجاء في كتـاب أن

---

(١) الأجدر بالكاتب أن يقول تميز آدم وليس رجحانه.

الشيطان تحدث بلسان الحية وهذه هي الرواية النصرانية، ولا يتحدث القرآن إلا عـن الـشيطان فيقول انه هو الذي أغوى آدم، على حين أدخلت الرواية الإسلامية الحية في ذلك أيضا، وتتحدث الحية بأمر إبليس،[1] ثم ذكر أن الشجرة المحرمة كانت العنب أو التين أو الحنطة كما يغلب على الرواية اليهودية ونجد مثل هذه الفكرة وغيرها في الرواية الإسلامية[2].

أقول هذه الفكرة وان وجدت في الروايات الإسلامية" إلا ان للمفسرين ترجيح وتعليق بعد ذكر مثل هذه الروايات فيقول الطبري في تفسيره بعد أن ساق الروايات التي تذكر الحنطة و.".

والصواب في ذلك أن يقال: أن ا جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا إلى ما نهاهما ا عنه..ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن ا لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة"[3]

أما قول الكاتب أن آدم قد نسى العهد الذي بينه وبين ا فقال تعالى في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (طه، آية ١١٥).

قال الإمام الطبري:" وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال عنه: عزم فلان علـى كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ شيء، لأنه لا يجزع جازع إلا مـن خـور قلبه وضعفه، فإذا كان ذلك كذلك فلا معنى لذلك، بلغ فيما بينه ا تبارك وتعالى وهو قوله ولم نجد له عزما فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب،على الوفاء بعهد ا ولا علم حفـظ مـا عهـد إليه[4] " هذا هو المعنى الذي جاء في تفسير الطبري في هذه الآية لكن الكاتب لم يورد التفـسير الصحيح لها، وإنه اكتفى بقوله إنه نسي العهد الذي عهده ا إليه، فهذا كما نلاحظ تفسير ناقص لا يفي بحق المعنى المراد من الآية الكريمة.

وهذا ديدن المستشرقين عامة والكتاب في دائرة المعارف خاصة فهم دائماً يحاولون أثناء تفسير الآيات خاصة ذكر ما هم يريدون ذكره في تفسير الآية وغالباً يكون التفـسير مختـصراً اختصاراً مخلاً لا يفهم منه المعنى الحقيقي للآية وان فهم منه المعنى يكون فهما مشوشا مـشوباً بالأفكار الإستشراقية التي تحاول أن تثبت من خلال ذلك صحة الكتاب المقدس وبطلان القـرآن

(١) الدائرة، ج١ / ص٢٤-٢٦.
(٢) الدائرة، ج١ / ص٢٦.
(٣) الطبري، ج١ / ص٥٣١ -٥٣٢. طبعة دار المعارف في مصر.
(٤) تفسير الطبري، ج٩، ص٥٩٧٠، طبعة الفكر للطباعة والنشر.

الكريم وأنى لهم ذلك "يريدون ليطفئوا نور ا بأفواههم وا متم نوره ولو كره الكافرون" صدق ا العظيم (الصف ٨).

أما قول الكاتب: "أن الحية قد حملت إبليس في فمها أو في بطنها، ويظهر الطاووس في قصص الكسائي والثعلبي، ويجب أن نفهم هذا مرتبطا بفكرة أن آدم في رواية من الروايات هو الذي انشأ الأعياد اليهودية، وأدى مناسك الحج وان الحجر الأسود نزل إليه من السماء، ومن ثم بنى الكعبة، ثم يشير الكاتب إلى تعلم آدم الزراعة والحرف اليدوية وكل الأسماء والى أولاد آدم وقصة قابيل وهابيل وشيت، والى اليوم الذي ولد وتوفي فيه آدم، ثم أخذ يشير إلى بعض العقائد بآدم عليه السلام فيقول: ولم يكن آدم أول البشر فحسب، بل كان أيضا أول نبي، ومن ثم أصبح مكانه متأثراً بالمنحنى الإسلامي في التفكير، وكما أن عيسى هو آدم الثاني في النصرانية فقد عقدت في الإسلام صلة بين آدم ومحمد، فآدم هو أول الرسل ومحمد هو خاتم الرسل، وفي مذهب السبعية فإن آدم هو أول الناطقين السبعة، ويقول بعضهم أنه كان يوجد من قبله أناس وناطقون، وكان شيت هو وصيته وهم يميزون بين آدم الكلي الذي هو "العقل" يبدأ منه الفيض، أدم الجزئي وهو أول إنسان في وقت الاستتار، وكان آدم هذا هو آدم المثالي الذي سجد له الملائكة لأنه كان ربانيا، إذ حلت فيه روح ا ، وكان ذلك يسمى أحيانا "الحلول" الذي تتصل حلقاته بفعل الناسخ وقد جعل هذا الإنسان المثالي الرباني هو الإنسان الكامل، عند الهيلينية وكان هو نفسه الذي عرفه الحلاج باسم "الناسون" ولما كان محمد قد أصبح قطب الخلق وهي فكرة أكدتها الصوفية بخاصة، فإن حقيقته أو نوره هو الذي تجلى في آدم وقد خلقت المخلوقات جميعا من اجل محمد كما خلق آدم وذريته من نوره"[١].

ولقد كان مرجع الكاتب في قصة آدم من المراجع العربية والإسلامية،" تفسير الطبري، المسعودي، مروج الذهب، الكسائي، الثعلبي، تاريخ الطبري، تاريخ مختصر الدول، قصص الأنبياء، البغدادي، الفرق بين الفرق، اليعقوبي، إضافة إلى الإنجيل والتوراة والمراجع الأجنبية الكثيرة ".

وقبل البدء بالتعليق على كلام الكاتب في الدائرة رأيت من المفيد ذكر عدة قضايا فيما يخص القصص القرآني لا بد من التنبيه إليها لأهميتها وهي:

---

(١) الدائرة، ج١ / ص٢٤-٢٦.

أولاً: المنهج القصصي في القرآن:

"تعد القصة القرآنية أول قصة ملتزمة عرفها الأدب العربي وذلك بما تهدف إليه من دعوة إلى التوحيد، وتحث عليه من خلق قويم وتنهى عنه من فساد وشرك وتثبته من أدلة هي أصـدق ما جاء به الرسول ﷺ .

وإذا تأملنا الأسلوب الذي قدمت فيه وماله من تأثير نفسي وفني اتضح وجـه تـسميتها" بالقصة" لا استناداً إلى مدلولها اللغوي فقط باعتبار أن أصل الاشتقاق للفظ (قصة) يلتقـي فـي المعنى مع المدلول الذي انبنى عليه اصل التسمية القرآنية وهو الإعلام بالنبأ.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف:١٣).

أو تتبع الأثر وتقصيه ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ ﴾ (القصص: ١١).

ولم يسمها القرآن (أخباراً) لأنه لم يقدمها كما تقدم الأخبار المجردة خالية مـن التـصوير الفني، والإثارة النفسية، ولم يسمها حكايات لأنه لم يسردها كما تسرد الحكايات التاريخية، فكتب التاريخ مجردة مما يأخذ الأسماع والقلوب من غوص على مكامن الشعور، وتشخيص للحادثـة وتنسيق في العرض، بلغة البيان والبديع المعجز وفي ذلك يقول الخطابي: (لا ترى شـيئا مـن الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفـا ولا أشـد تلازمـاً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنهما هي التي تشهد لها العقول بالتقـدم في أبوابها والترقي أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها[1] ويقول البـاقلاني:" إن أسـلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما انه خارج عن الأساليب المعروفة"[2].

فأسلوب القرآن في القصة أن يختار لقطات من الوقائع التاريخية ولا يثقلها بما هو تافه من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار، إنه يروي بعض أحداث القـصة بأسلوب يبعث فيها الحياة فتتخطى القرون، ويجعلها كأنها ماثلة"[3].

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه من بلاغة القرآن " لا يصح حينئذ أن يؤخـذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافه وأنه لا يتسلسل في إيراد أحداثها مرتبة منظمة، وأنه

---

(١) بيان إعجاز القرآن، الخطابي ص٢٨

(٢) إعجاز القرآن ص٦٠ وما بعدها.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن التهامي نقرة، ص ٨٥-٨٧

يصعب فهم القصة من القرآن على من لم يطلع عليها من مصدر آخر، ذلك أن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ، فحينا يقص القصة كلها مجموعة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطا بعضها ببعض في تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقة حتى تصل إلى خاتمتها.كما نراه في سورة يوسف، وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لان في هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحا يستغني به عن الإطالة، اعتمادا على أن القصة" معروفة مشهورة ".

فنحن نلاحظ أن من سمت القصص القرآني أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط وترتب زماني وعقدة لا نجدها دائما مجتمعة في القصة القرآنية، موزعة توزيعا يجعل لكل منها دورا يختل بانعدامه توازن القصة، لان المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه[١]

ثانياً: أهداف القصص القرآني:

القرآن لم يأتِ كتاب تاريخ كي يسرد علينا مراحل التاريخ وأحداثه[٢]، لكنه أورد بعض الأحداث التاريخية سواء بالتفصيل أم بالعموم؛ لتخدم أهدافاً معينة يمكن لنا أن نحددها بالنقاط التالية:

١. تعميق العقيدة في النفوس وتبصر العقول بها

٢. تربية الإنسان والسمو به حتى يمتاز عن الحيوان سواء في الجانب الروحي أو الجانب المادي.

٣. بيان سنن ا في الأمم والمجتمعات.

٤. طرح دين ا تعالى من خلال واقع عملي.

٥. بيان أن هذا الكتاب ليس من عند محمد (ﷺ) الأمي ولكنه من عند ا .

٦. وضع النماذج القدوة للمسلمين في الصبر على الدعوة وحملها"[٣]

---

(١) سيكولوجية القصة ص٩٣

(٢) مع الأنبياء في القرآن، عفيف عبد الفتاح طيارة، ص٢٦.

(٣) القصص القرآني، إيحاءه ونفحاته، فضل عباس، ص١٠-١١.

ثالثاً: الفرق بين القرآن والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل):

" إن ما يطويه القرآن في قصصه من مراحل وما يعرض عنه من جزئيات، وما يتركـه من فجوات هو أخص ما يمتاز به فمنهج القصص الذي يختلف شكلا ومـضمونا عـن مـنهج التوراة والإنجيل "[١]

فقد عنيت التوراة والإنجيل بتدوين التاريخ والجزئيات والتفصيلات التي لا فائدة منها وإذا نظرنا في كلام الكاتب حول قصة سيدنا آدم وما أورده مما جاء في التوراة والإنجيل يظهر لنـا جليا الفرق بين الكتابين في الأسلوب والمنهج.

فقول الكاتب" إن ا لم يأمر الملائكة بان تسجد بل أرادت الملائكة أن تـشرف آدم كمـا شرفه ا فحال بينهم وبين ذلك بان جعل آدم ينام أو أن الملك ميكائيل سجد ودعا سائر الملائكة أن يحذوا حذوه "... هذا الكلام لا أساس له من الصحة، فالآية واضحة تمام الوضوح وصرحت بان ا هو الذي أمر الملائكة بالسجود حيث يقول تعـالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (ص ٧١-٧٢) فالأمر واضح من الآية أن الأمر إنما كان من ا عز وجل وليس من أحد غيره.

وفي القرآن ما يفيد أن الذي اغتر بوسوسة الـشيطان أولاً هـو آدم ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (طه: ١٢٠).

ولم يرد فيه كما ذكر الكاتب في التوراة عندما ذكر الحية والدور الذي لعبته في الغوايـة، ولم تدخل الرواية الإسلامية الحية على حد زعم الكاتب حيث يقول:" على حين أدخلت الروايات الإسلامية الحية في ذلك أيضا وتتحدث الحية بأمر إبليس وكان مرجعـه "الطبـري، ويظهـر الطاووس في قصص الكسائي وقصص الثعلبي"[٢].

ويعقب الطبري بعد أن ذكر الروايات التي ذكرت الحية ودخول الـشيطان فيهـا بقولـه: "وأولى ذلك بالحق عندنا، ما كان لكتاب ا موافقا، وقد اخبر ا تعالى ذكره عن إبلـيس انـه

---

(١) سيكولوجية القصة، ص٩٩.
(٢) الدائرة ج١، ص٢٦.

وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وانه قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ (الأعراف ٢٠) وأنه قاسمهما إني لكما لمـن الناصحين مدليا لهما بغرور. ففي إخباره جل ثناؤه عن عدو ا أنه قاسم آدم وزوجتـه بقولـه لهما: "إني لكما لمن الناصحين" الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفـسه إمـا ظـاهراً لأعينهما وإما مستجناً في غيره وذلك أنه من غير المعقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلاناً في كذا وكذا! وسبب له سببا وصل به إليه دون أن يحلف له، والحلف لا يكـون بتـسبب السبب، فكذلك قوله فوسوس إليه الشيطان، لو كان ذلك كان فيه إلى آدم على نحو الذي فيه إلـى ذريته من تزيين أكل ما نهى ا آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه بما اسـتزله به من القول والحيل لما قال جل ثناؤه وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين كما غير جائز أن يقول اليوم قائل ممن أتي معصية: قاسمني إبليس أني لك ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها فكذلك الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم لما قال جل ثناؤه: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١) ولكن كان ذلك أن شاء ا على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله[1] هذا الذي رجحه وذكر أن ذلك ورد مستفيـضاً من أهل العلم مع دلالة الكتاب (القرآن) على ذلك وليس كما يدعي أصحاب الـدائرة بـان هـذه الروايات جاءت في التفاسير دون نظر وتدقيق وتحقيق في هذه الروايات، فهـم كمـا نلاحـظ يحاولون التوصل إلى هدفهم من خلال ما يجدونه في التفاسير الإسـلامية يحـاولون إثبـات أن القرآن الكريم إنما كان اعتماده في القصص القرآني على الكتاب المقدس (التـوراة والإنجيـل) وهذا قول باطل لأنه يقوم على باطل لا أساس له من الصحة وليس له سند كمـا فـي القـرآن الكريم، بل إنه حرف وبدل وغير ولم يصل كما أنزله ا عز وجل وقد اخبر ا بـذلك فـي كتابه الذي حفظه من التحريف و التبديل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر ٩) أخبر عنه بقوله تعـالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة ٧٩).

(١) االطبري، ج١، ص٥٣١ وما بعدها.

وقوله تعـالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ (المائـدة ١٣).

ثم أخذ الكاتب محاولة إثبات ما في التوراة بأخذ منحنى آخر، وهو ادعاؤه بـان آدم هـو الذي أنشأ الأعياد اليهودية وأدى مناسك الحج وان الحجر الأسود نزل إليه من السماء".

ففي حديثه بعد أن تكلم عن هبوط آدم واختلاف الروايات في مكان هبوط آدم فـي قـول رواية من الروايات، هو الذي أنشأ الأعياد اليهودية (عبودازارا ص ١٨)، وأدى مناسك الحـج وأن الحجر الأسود نزل إليه من السماء ومن ثم بنى الكعبة (الطبري.اليعقوبي.الثعلبي) (١)

فقوله " يجب أن نفهم.." هذا الوجوب من أين أتى وما هو الدليل عليه ثم ما الرواية التـي ذكرت ذلك؟ فليس هناك رواية صحيحة تثبته، فضلاً على أنه لم يثبت لدينا أي رواية من هـذا القبيل.

ثم لم يرد في تفسير الطبري شيء من هذا القبيل إطلاقا كما ادعى الكاتب من تأدية مناسك الحج وأمر الحجر الأسود، وبناء الكعبة لكنه ورد في كتاب الثعلبي(٢)، والثعلبي كما يـذكر فـي كتابه قال أهل التاريخ قال أهل الأخبار. وكما هو معروف أهل التـاريخ يـذكرون الروايـات وينقلون ما وصل إليهم من أخبار على أنها أخبار لا على أنها روايات صحيحة متصلة الإسناد.

ثانياً: قصة سيدنا داود عليه السلام:

جاء الحديث عن قصة سيدنا داود تحت لفظة داود، حيث بدأ الكاتب (كاراده فو) حديثـه عن داود، بأنه ورد اسمه في التوراة وان قصته منحرفة شأن غيرها من قصص الأنبياء، وأشار إلى تفسير بعض الآيات التي ذكرت قصة سيدنا داود في سور القرآن الكريم ثم لخص ما جاء في تفسير الطبري من قصص بحق داود عيه السلام.

وهذا نص ما جاء في الدائرة:

(داود) "وقد ورد ذكره في التوراة، وفي القرآن عدة آيات تشير إلى قـصة النبـي داود خليفة ا (سورة ص الآية ٢٥)، وقد حرفت هذه القصة شأن غيرها من قصص الأنبياء بعـض التحريف، ويظهر فيها أثر من مذهب الربانيين، أو قل إنه يبدو فيها اثر الـسعي إلـى تفـسير

(١) الدائرة ج٢، ص٢٦-٢٧
(٢) الثعلبي عرائس المجالس ص٥٥

بعض آيات من التوراة لم تعرف على وجهها الصحيح فقد كان محمد (ﷺ) يعلـم أن داود قتـل جالوت (القرآن سورة البقرة الآية ٢٥٢ سورة النحل الآية ١٥) وقد حكم النبيـان، فـي قـضية واحدة حكماً مأثوراً في شأن الضرر الذي ألحقته غنم بحرث، ويقول المفسرون أن سليمان اظهر حكمة في هذه القضية على الرغم من أن سنه كانت لا تتجاوز الحادية عشرة، ذلك أنـه اصـلح الحكم الذي حكم به أبوه، وقد وردت في آية أخرى قضية خصمين دخلا على داود متظـاهرين بأنهما يسألانه أن يحكم بينهم بالحق، والواقع أنهما جاءا يعرضا بخطيئته (سورة ص الآيات ٢٠ – ٢٥). وقد جاء في الآية ١٦ من سورة ص ذكر توبة داود. ويعد هذا النبـي الملـك مبـدع الدروع، وكانت من قبل صفائح، والظاهر أن الحديد قد لان بين يده (سورة الأنبياء الآيـة ٨٠، سورة سبأ الآية ١٠) وقد أوتى داود نعمة الصوت الطيب، فكانت الجبال والطير يـسبحن معـه (سورة الأنبياء الآية ٧٩، سورة سبا الآية ١٠، سورة ص الآية ١٨) ومن الواضح أن ذلك ليس إلا تفسيراً حرفياً لآيات التوراة التي يدعو فيها صاحب المزامير الجبال ووحش الفلاة إلى تسبيح الرب معه.

ثم إننا نتبين من الجمع بين الآية ١٢١ من سورة المائدة والآية ٦١ من سورة البقـرة أن داود قد عاقب الخارجين على سنن بني إسرائيل يوم السبت بمسخهم قردة.

وقد توسع المفسرون كثيراً في الإشارات القصيرة التي وردت في القرآن عن داود، وتتفق الإشارات في مجملها مع التوراة، وأهم ما ورد في الطبري عن ذلك: هاجم جالوت، الذي انحدر من عاد وثمود، وطالوت.. فقتل داود جالوت بمقلاعه وتزوج داود ابنة طالوت وناصفه حكمه.. ووجد طالوت في نفسه على داود، وحاول قتله، ففر داود منه، وأوى إلى غار فنسجت العنكبوت بيتاً على بابه، فحمى الكهف داود من طالوت، ويذكر الطبري نسب داود ويروي قصة سـابغ بنت شائع امرأة اورياء، وتوبة داود، وخطة بناء الهيكل، ثم يضيف إلى ذلك قصـصاً أخـرى قليلة"[(١)].

ثم تابع الكاتب كلامه عن مكان وجود قبر داود وان المسلمين والمسيحيين يجعلون قبـره في بيت لحم، ثم أشار إلى بعض الفرق ورأيها في داود فأشار إلى الصوفية وأن لـداود مقامـاً خاصاً عندهم، كما وأشار إلى أنه يوجد في كردستان، وشمال بغداد فرقة تدعى (الداودية) مـن أتباع داود، بعد النظر والتحليل في كلام الكاتب يمكن أن نلخص ما جاء فيه من انتقاد بعدة نقاط:

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية ج ١٤ ص ٤٣٧٤ – ٤٣٧٦

أولها:

لقد حاول الكاتب هنا أن يثير شبهة أن القصص القرآني مأخوذ من التوراة، وأن بعضاً من الآيات الواردة في القرآن الكريم ليست إلا تفسيراً حرفياً لآيات التوراة، وهذه الـشبهة آثارهـا المستشرقون قديماً ويثيرونها حديثاً لمحاولة الطعن في صحة القرآن الكريم ، وأن القصص فـي القرآن الكريم مقتبس من الشعر الجاهلي وقصص الفرس واليهود والنـصارى(١) وهـذه شـبهة سأفرد لها عنواناً خاصاً وسيكون الرد عليها بعدة نقاط بإذن ا تعالى.

ثانيها:

الخطأ في أرقام الآيات وهذه الظاهرة تكررت كثيراً كما سبق وأشرت إلى ذلك من قبـل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم الدقة والتحري في نقل النصوص، ذلـك أن آيـات القرآن الكريم إنما هي من الوضوح بحيث لا يدع مجالاً للباحث العلمي المنهجـي الـدقيق أن يخطئ في رقم آية من الآيات. فهنا أول موضع أشار إليه الكاتب أن داود خليفة ا (سورة ص الآية ٢٥) ولكن رقم الآية في المصحف العثماني هي (٢٦).الموضع الثاني: عنـد قولـه " إن محمداً (ﷺ) ان يعلم أن داود قتل جالوت (البقرة الآية ٢٥٠ وما بعدها) فموضع الآيـات التـي تشير إلى الموضع هي الآية ٢٤٦ – ٢٥١).

الموضع الثالث: عند قوله " أن ا تعالى آتى داود وسـليمان الحكمـة " (الآيـة ٢٥٢).. ورقمها في المصحف العثماني (٢٥١)..

الموضع الرابع والخامس : عند ذكره قصة الخصمين..(سورة ص الآيـات ٢٠ – ٢٥) ورقمها في المصحف العثماني (٢١ – ٢٦) قد جاء في الآية (١٦) من سورة ص ذكـر توبـة داود ورقمها في المصحف العثماني (١٧)..

الموضع السادس: عند قوله " وقد أوتي داود جمال ٠الصوت.هذه الآيتـان (١٧ – ١٨) ورقمها في المصحف العثماني (١٨ – ١٩).

الموضع السابع والثامن: ثم إننا نتبين من الجمع بين الآية ٨٢ من سورة المائدة والآية ٦١ من سورة البقرة(٢) رقم الآية ٧٨ في سورة المائدة و ٦٥ في سورة البقرة..

---

(١) أباطيل الخصوم حول القصص القرآني: عبد الجواد محمد المحص ص ١١
(٢) الموجز ج ١٤ / ص ٤٣٧٥.

ونص الآية في المائدة، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (المائدة ٧٨).

ونص الآية في سورة البقرة، قال تعـالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (البقرة ٦٥).

ثالثها:

القصص الواردة في التفاسير حول قصة سيدنا داود تتفق في عمومها مع التوراة، وذكره مثالا لذلك في تفسير الطبري واقتصاره عليه، فنحن نعلم أن الطبري يكثر من إيراد الإسرائيليات في تفسيره، وليس معنى إيرادها في تفسيره أنها صحيحة أو أن تفسير الآيات يكون بها، خاصة قصة مثل هذه القصة التي ورد فيها الطعن بسيدنا داود عليه السلام ونحن نعلم أن الأنبياء كلهـم معصومون من مثل هذه الأمور، فيقول ابن كثير:

"وقد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبـت فيهـا عـن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن انس ويزيد – وان كان من الصالحين – ولكنه ضعيف الحديث عند الأئمـة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وان يرد علمها إلى ا عز وجل، فان القـرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا[1]

ولو كان في معرفة هذه القصة فائدة لذكرها القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، لكـن ا عز وجل – كما سبق وان أشرت يذكر من القصة القرآنية ما فيه العبرة والعظة..ولا يلتفت إلى التفصيلات والجزئيات التي هي من سمات التوراة والإنجيل..

وقد ذكر الإمام الرازي أدلة عقلية تدل على بطلان هذه القصة، رأيت من المفيد ذكرهـا هنا، حيث قال في تفسيره ما نصه:

" والذي أدين به واذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه،

---

(١) ابن كثير: تفسير ج٤، ص٤٦.

الأول : إن هذه الحكاية لو نسبت إلى افسق الناس وأشدهم فجورا لاستنكف منها، والرجـل الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه، وربما لعن من ينسبه إليها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه!!؟.

الثاني: إن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: السعي في قتل رجل مسلم بغير حـق، والـى الطمع في زوجته، فأما الأول: فأمر منكر، قال (ﷺ) "من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة ا ". وأما الثاني: فمنكر عظيم قـال (ﷺ) "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" إن (أوريا) لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه.

الثالث: إن ا وصف داود قبل ذكر هذه القصة بالصفات المذكورة - في الآيات – ووصفه بصفات كثيرة بعد هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح[1]

ثم قال عند تفسير الآية ٢٦ من سورة ص: "ومن أقوى الدلائل على فساد القول المشهور بتلك القصة، قوله تعـالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص الآيـــة ٢٦).

اعلم أنه لما تمم تعالى الكلام في شرح القصة أراد منها بيان أنه تعالى فوض إلـى داود خلافة الأرض، لان من البعيد جدا أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في دماء المسلمين، راغباً في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقبه أن ا تعالى فوض خلافة الأرض إليه[2]

فهل بعد هذا الكلام المعجز العظيم من رب عظيم من دليل على فـساد هـذه القـصص وبطلانها، ولكن القوم أعموا أبصارهم وبصائرهم عن أن ينظروا بعين الحق والعدل، وصدق ا تعالى إذ يقول: " قل ا يهدي إلى الحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهـدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون "(سورة يونس آية ٣٥).

---

(١) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، ج ٩ / ص ٣٧٧

(٢) مفاتيح الغيب: ج٩/ ص ٣٨٦.

الشبهة والرد عليها:

القصص القرآني اقتبسه محمد (ﷺ) من قصص التوراة وما ورد عن أهـل الكتـاب، وهناك مستشرق آخر – غير الذي ورد في الدائرة الذي كتب عن داود وغيره مـن القـصص القرآني – وهو (فيليب حتى) يصرح بذكر هذه الشبهة بعبارة أكثر وضوحا فيقول: "وتكاد كـل القصص التاريخية في القرآن أن يكون لها نظير في التوراة باستثناء بعض قصص قلائل عربية خالصة تشير إلى عاد وثمود ولقمان وأصحاب الفيل"[١]

الرد:

ويكفي للرد على مثل هذه الأباطيل أن يطلع القارئ – مجرد اطلاع – على ما جاء فـي التوراة أو الإنجيل ويطلع على ما جاء في القرآن، ليدرك تماما زيف هذه الادعـاءات، ويظهـر وجه الحق ناصعا كشمس الضحى.

فإن الناظر في قصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد أن الله تبارك وتعالى قد رفع ذكرهم وأعلى قدرهم، فهم أئمة الهدى و أولي الفضل والنهى، وهم الذين اصطفاهم الله من بـين خلقـه واختصهم بصفات الكمال الخلقية والخلقية، فهم السفراء الأمناء في حمل رسالة الله وتبليغها إلى الناس وهدايتهم لعبادة الله، وآيات القرآن الكريم تصفهم بأسمى الصفات وتنزههم عن كل مـا يشينهم أو يقدح في أخلاقهم[٢] – على العكس من التوراة -.

ولهذا فان جمهور علماء الإسلام، عندما يتحدثون عن عقيدة الإسلام الصحيحة يقولـون أن الأنبياء جميعا معصومون قبل النبوة وبعدها[٣] وكونهم بهذه المنزلة فقد جعلهم الله تعالى فـي موضع القدوة والأسوة لمحمد (ﷺ) كما صرح بذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام آية ٩٠).

ومن هؤلاء سيدنا داود الذي قص الله قصته على سيدنا محمد ليتأسى به ويثبته على تحمل أعباء الدعوة وما يلاقيه من أذى في سبيلها.

---

(١) كتاب الوحي القرآني في المنظور الإستشراقي ونقده ص ١٣٤

(٢) القصص القرآني، إقناع وإبداع: السيد عسكر، ص٦٢ وما بعدها بتصرف..

(٣) المرجع نفسه.

فيقول ا تعالى في أخبار رسوله: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ (ص الآيات ١٧ – ٢٠).

أما ما جاء في التوراة والإنجيل لا يمت إلى الهدى والنور وموعظة المتقين بصلة وإنما فيه نسبة المعاصي وكبار الفواحش إلى الأنبياء حتى صاروا قادة للفجور وروادا للوقوع في افظع الجرائم التي وصلت إلى الشرك با وعبادة الأصنام[1] كما في قصة داود التي بين أيدنا، هذا عدا عن التناقض العجيب الموجود في القصص وعدا الأسلوب والمنهج في سرد القصص، الذي لا مقارنة بينه وبين أسلوب القرآن ومنهجه في عرض الوقائع والأحداث كما أشرنا لذلك سابقاً، فهذا الاختلاف بين التوراة والقران واختلاف النظرة للأنبياء والمرسلين لدليل قاطع وبرهان جازم على أن القصص القرآني غير مقتبس ولا مستمد من هذا الكتاب.

فهذا الاختلاف الواضح بين التوراة والقرآن الكريم يمكن اعتباره دليلاً ملموساً على أن القرآن الكريم وقصصه ليس من وضع بشر ولا مقتبس شيء منه من التوراة..

ومن الأدلة والشواهد أيضاً:

أولاً: أن القرآن الكريم قد ورد فيه من القصص السابقين، وأنباء الأولين ما لم يكن يعلمه الرسول ولا أحد من قومه، وقد تحدى ا الناس أن يأتوا بمثله فلم يستطع أحد ذلك، فكان هذا العجز دليلاً على أن القرآن الكريم وقصصه من عند ا عز وجل.

ولو كان الرسول (ﷺ) قد نقل القصص القرآني عن كتب اليهود والنصارى، لاتخذ المشركون ذلك شبهة يحتجون بها على أن ما يذكره من قصص مستمد من هذه الكتب.

ثانياً: أن القرآن الكريم قد تضمن قصصاً كثيرة لم تذكر في كتب اليهود والنصارى، مثل قصص صالح وهود وشعيب الذي لم تذكره التوراة إلا عرضاً، وهذا من أقوى الأدلة على أن القصص القرآني وحي منزل من السماء.

(١) المرجع نفسه، ص٦٧.

ثالثاً: الاختلاف سواء في المحتوى أو في الأسلوب والسياق أو في الغرض المستخلص من القصة بين كما سبق الإشارة لذلك.

رابعا: ما جاء في القرآن الكريم من عتاب الله عز وجل لرسوله الكريم (ﷺ) كما في قصة ابن أم مكتوم، وقصة أسرى غزوة بدر، وقصة تحريم النبي ما احل الله له ابتغاء مرضاة أزواجه.ونحو ذلك، فلو كان القصص القرآني من تأليف الرسول (ﷺ) ما سجل على نفسه ذلك العتاب كله، لكن هؤلاء المضلين سفهوا أنفسهم وزعموا على الرغم من هذه البراهين الواضحة والأدلة القاطعة أن الرسول (ﷺ) افترى القصص القرآني على ربه، وكذبوا وضلوا ضلالاً بعيداً.

خامسا: جاءت القصص القرآني آيات عديدة تشير إلى حقائق علمية لم تكن معروفة للناس في البيئة العربية الجاهلية وقت نزول القرآن الكريم، وإنما عرفت في الوقت الحديث، وأيد العلم أخيراً ما جاء فيها تأييدا مجتمعا عليه، وفي هذا ما يقطع باليقين أن قصص القرآن الكريم من عند الله عز وجل وليس من النبي أو من التوراة.

وأخيراً نؤكد القول أن ما زعمه المستشرقون ليس بحق ولا هو من النتائج العلمية التي ينتهي إليها البحث الرشيد، والنظر السديد، وما ذكروه وزعموه ضيق النطاق عن أن يكون مصدراً للقصص القرآني فإن هذا القصص لأعلى وأوسع وأعظم مما زعموه، وأكبر وأكمل مما توهموه، لأنه أولاً وأخيرا تنزيل من الله رب العالمين، فيه الإعجاز البياني. وفيه الإعجاز العلمي. وفيه الإعجاز التاريخي. وفيه غير ذلك من سائر حقائق الإعجاز[1].

فما من قارئ للقرآن الكريم إلا ويجد للقصص وغيره مما احتواه القرآن وقعا لا يجده في أي كتاب آخر. فعلى المستشرقين أن يتجردوا من حقدهم، وتعصبهم الأعمى، وعليهم أن يقرأوا القصص القرآني وقصص التوراة والإنجيل ليعيدوا النظر في أباطيلهم وافتراءاتهم، فلقد جاء القصص القرآني اشد تأثيراً في النفس الإنسانية، واغزر فائدة من حيث العبرة والعظة، مع اختلافات شتى وفروق بينه، تؤكد أن القصص القرآني لو كان مستمدا مما زعموه لالتزام طريقته، ووقف عند ما جاء فيه.

---

(١) أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة: عبد الجواد محمد الحمص ص٤٥ – ٤٦، ٤٨، ص ٥١ " اكتفي بذكر هذه الردود وهناك ردودا أخرى ذكرها الكاتب يمكن الرجوع إليها لمن أراد المزيد "

قصة أصحاب الكهف:

بدأ كاتب مادة أصحاب الكهف – فنسنك – حديثه عن أصحاب الكهف كما جاءت القـصة في القرآن الكريم ، بقوله:

"يقص القرآن قصتهم في سورة الكهف (الآية الثامنة ومـا بعـدها) [١] رقـم الآيـة فـي المصحف العثماني هو الآية التاسعة وما بعدها وليست الثامنة.

ثم ذكر خلاصة ما اتفقت عليه روايات المؤرخين والمفسرين في قصة أصحاب الكهـف، ثم خص بالذكر رواية ذكرها الطبري عن وهب بن منبه وهي قصة الحـواري مـن أصـحاب عيسى و دخوله المدينة، ثم بعد ذلك حاول الإشارة خفية إلى شبهٍ حول القصص القرآني يمكـن تلخيصها كما يلي:

١- اشتمال القصص القرآني على الأخطاء التاريخية وذلك عند حديثه عن أهم المعلومات فـي قصة أصحاب الكهف، فيقول: "وسنتكلم الآن عن أهم المعلومات فنقول: أن الملك الـوثني الذي اضطهد النصارى كان يسمى داقيوس (٢٤٩ – ٢٥١)، أما الملك النصراني الـذي بعث الفتية في عهده فهو الملك تيودوسيوس الثاني (٤٠٨ – ٤٥٠)، وهذا لا يتفق مع مـا ورد في القرآن من أن أصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تـسعا ولا مع الروايات الأخرى التي تذهب إلى انهم لبثوا فيه ٣٧٢ عاما. وهناك أمر آخـر عظـيم الأهمية هو معرفة المدينة التي حدثت فيها هذه القصة، تقول المصادر الغربية إنها حدثت في مدينة ابسوس وتتفق معها بعض المصادر الشرقية أيضاً"[٢]

٢- اشتمال القصص القرآني على الأسطورة والخيال: وذلك عند حديثه عن المدينة التي حـدثت فيها هذه الحادثة، حيث يقول: ".. فهل كانت مدينة ابسوس هذه هي المسرح الذي وقعـت فيه تلك الحوادث الحقيقة أو التي أوحى بها الخيال"[٣].

أما حديثه عن الأسطورة كان ذلك في ختام كلامه عن أصحاب الكهف حيث يقول: وقصة أصحاب الكهف مشهورة ذائعة في الآداب الشرقية والغربية على حد سواء، راجـع فـي هـذا

---

(١) الدائرة ج٣ / ص ٤٥٥
(٢) المرجع نفسه، "الدائرة ج٣ - ص ٤٥٦
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٥٧

الصدد كتاب (جون كوخ) الذي حاول أن يجعل لهذه القصة أصلا في الأساطير[١].

قبل ذلك تعرض الكاتب لمسألةٍ هامة وهي معرفة معنى "أصحاب الكهف والرقيم" وأقوال العلماء في معنى الرقيم، فيقول:

"وهناك مسألة أخرى هامة أيضاً، هي معرفة معنى "أصحاب الكهف والرقيم" التي وردت في القرآن الكريم: ذهب الكثيرون إلى أن الرقيم هو اسم الكلب، وذهب آخرون إلى أن الرقيم هو اللوح الذي نقشت عليه قصة أصحاب الكهف، أما جغرافيو العرب فيرون أن الرقيم اسم مكان.. فابن خردانبة مثلا يقول أن الكهف الذي كانت فيه الجثث اسمه الرقيم وان قصة أصحاب الكهف حدثت في أفسوس. أما المقدسي فيرى أن الثلاثة عشر رجلاً الذين وجدت جثثهم في الكهف كانوا أصحاب الكهف، ويرى أن الرقيم هي جهة في شرق الأردن قريبة من عمان ويقال أن هذه الجهة كانت مسرحاً لحادث شاذ حدث لثلاثة من الرجال وقد زار الكهف الذي كان فيها كارمون كانو وهو يرى أن هذه الجهة هي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم [٢]" ثم يتساءل الكاتب عن شان الكلب في القصة فيقول:

"ولسنا ندري أي شأن للكلب في قصة أصحاب الكهف ولا مكان جبل انخيلوس، وليست المصادر متفقة في عدد الفتية ولا في أسمائهم"[٣]

هذه خلاصة ما ذكر من أمور تحتاج إلى مناقشة ورد حول قصة أصحاب الكهف في الدائرة.

الرد:

أولاً: الرد على الشبهة الأولى:

أن القرآن الكريم – كما أشرنا سابقاً – لا يعبأ بذكر الأماكن وأسماء الأشخاص والتاريخ في عرضه للقصص، إنما أكثر اهتمامه يكون بالغاية من القصة، وعناية القرآن بالتاريخ ليست أكثر من مجرد عرضه لأخبار مضت، فهو وأن لم يذكر فيما انتقى من أخبار التاريخ زمان الواقعة ومكانها وترتيبها الزمني، فقد صاغها في أسلوب إنشائي مؤثر..

فعدم ذكره لمثل هذه الأمور لا يطعن في صدق ولا صحة أخباره، فان القرآن ليس

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.

تاريخاً ولا قصصاً، وإنما هو هداية وموعظة فلا يذكر القصة لبيان تاريخ حـدوثها، ولا لأجـل التفكه بها، أو الإحاطة بتفاصيلها، وإنما لأجل العبرة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف ١١١) ، وبيان سنن الاجتماع قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (غافر ٨٥).

فقول الكاتب هنا أن الفترة التي وقعت بين الملك الوثني والملك النصراني الذي بعث الفتية في زمنه يخالف ما جاء في القرآن الكريم بأن لبثهم كان ثلاثمائة وتسع سنوات، هذا قول باطـل ذلك أن التواريخ التي ذكرها لا أساس لها من الصحة، ذلك أنه لم يذكر لنا الرواية التي ذكـرت تلك التواريخ ولم يبين لنا المرجع الذي أخذت منها الرواية.

ثم على فرض أن هذه الرواية ذكرت في مؤلفاتهم التي يدعون صحتها، فهي لم تنقل إلينا وذكرتها كتب تواريخ الإسلام وكانت مخالفة بعض القصص القرآني.

"فعلينا أن نجزم بأن ما أوحاه ا إلى نبيه ونقل إلينا بالتواتر الصحيح هو الحق، وما خالفه فهو الباطل، وناقله مخطئ أو كاذب، فلا نعده شبهة على القرآن، لأن حال التاريخ القديم لم يكن من الثقة والتحري والضبط بحيث يكون حجة تعتمد في هذا المجال، إذ لا روايـة يوثـق بهـا للمعرفة التامة بسيرة رجال سندها، ولا تواتر يعتد به"[١]

فليس لنا إذن أن نأخذ مأخذ اليقين برواية الأقدمين عن ماضيهم البعيد، وليس لنا كذلك أن ننقصها بغير دليل إذ ليس من المحقق أن يوغل التاريخ في القدم إلى تلك الألوف من السنين[٢].

وقد أثبتت بعض الكشوف الأثرية صحة ما جاء في القرآن من أخبـار العـرب البائـدة وغيرها، مثل سيل العرم الذي أدى إلى انهيار سد مأرب في اليمن، والذي يرجع إليه الفضل في تحويل مدينة مأرب إلى جنة يانعة، وما تزال آثار الجنتين الواقعتين عن يمينه وشماله حتى اليوم تؤكد ما جاء في القرآن[٣].

قـال تعـالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ

(١) تفسير المنار ج ١ / ص ٤٦٤ – ٤٦٥
(٢) العقاد: الإنسان في القرآن ص ٧٣
(٣) سيد إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ ص ١٦ نقلا من سيكولوجية القصة ص ٢٢٢

وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سبأ آية ١٥). وهنا في القصة التي بين أيـدينا اكتـشفت دائرة الآثار الأردنية عام ١٩٦٢ موقع كهف أهل الرقيم في قرية أردنية تسمى "الرقيم" على بعد سبع كيلومترات جنوب العاصمة الأردنية عمان، حيث تم العثور داخل الكهف على نقوش وحلي ونقود بيزنطية تعود للقرن الثالث الميلادي، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ (الكهف ١٩)، كما تم العثور على سبع جماجم بشرية في سبعة قبور بداخل الكهف وعلى جمجمة كلب، وتم العثور أيضا على أعمدة المسجد الذي أقيم فوق الكهف، وكذلك على الفجوة التي بداخل الكهف وتبلغ مساحتها على وجه التقريب نحو أربعة أمتار بثلاثة، بـل ثبت أن الشمس تمر فعلا عند طلوعها أمام الكهف، وتنحرف عنه عند غروبها، فأشعتها لا تنفـذ إلى داخل الكهف، فهذا ما اخبر عنه القرآن الكريم قبل هذا الاكتشاف العصري[1] الـذي يؤيـد ويؤكد صحة هذه القصة، وصحة ما جاء فيها، ويؤكد بطلان ومزاعم هؤلاء الحاقدين!! وهنـاك الكثير من الأمثلة غير ما ذكر[2] ويقول الدكتور عبد العليم خضر في شأن قوله تعالى: "ولبثـوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا" : "هذا خبر من ا تعالى إلى رسوله (ﷺ) بمقـدار مـا لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أن أرقدهم ا إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل ذلك الزمـان، وأنه مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة بالشمسية، فان تفاوت ما بـين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة: "وازدادوا تسعا".

هكذا أخبرنا محمد (ﷺ) عن الفرق بين التقويم الشمسي والتقويم القمري، فالشمسي ما كان يسير عليه الناس زمن حكم الرومان وهو زمن وقوع القصة، والقمري ما سار عليـه العـرب، وكانت الهجرة فيما بعد عليه دليلا، أن ا يقول: أيها الناس هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ ولـم يكتب ولم يدرس علم الحساب ولا الهندسة ولا الفلك من أين جاء له أن كل مائة سنة شمـسية تزيد ثلاث سنين قمرية، وكل سنة شمسية تزيد نحو أحد عشر يوماً ليس لـذلك معنـى سـوى الإعجاز القرآني"[3].

وهكذا يتضح للمستشرقين وأمثالهم أن القصص القرآني يخلو تماماً من الأخطاء التاريخية،

(١) منشور في مجلة العربي الكويتية: دكتور عبد ا العمراني في مقال له بعنوان " النيام السبعة و أهل الكهف " العدد ٢١٦، ص ٣٣ وما بعدها

(٢) راجع سيكولوجية القصة ص ٢٢٣ – ٢٢٦

(٣) المنهج الإيماني للدراسات الكونية، ص ١٥٥-١٥٧

وأنه حجة تاريخية لا تقبل الطعن في إثبات ما قص من وقائع تاريخية، على الرغم من أن القرآن الكريم كان لا يهدف إلى العرض التاريخي بالمعنى المعروف عند المؤرخين المحدثين.

ولقد كان حرياً بهم أن يتحاشوا ادعاءاتهم الكاذبة، ويظهروا لو كانوا منصفين للبحث العلمي حقا - كيف أبان القرآن الكريم وجه الحق فيما دخل على بعض القصص الديني والتاريخي من زيف أو تحريف في كتب العهدين القديم والجديد أو في كتب التاريخ القديمة، ويوضحوا فيما كتبوه من حوليات ودوائر معارف وغيرها ما تضمنه القرآن الكريم من إشارات لا تخلو من أصول علم التاريخ وبذور فلسفته، وغير ذلك مما جاء فيه على اكمل نظام و أتقن ترتيب[١]

ثانياً: الرد على الشبهة الثانية:

هذه القصة يمكن أن يكون لها اصل في الأساطير إذ أنها ليست حقيقة من الخيال.

"أن كل ما ورد في القرآن الكريم من قصص لا يحيد عن الحق، لأنه بني على الحقائق الثابتة الخالصة من زخرف القول وباطله، ولا تجافي الصدق لأنه لم يكن للخيال أو الأسطورة أو الوهم أو المبالغة..مدخل إليه، سواء أكان هذا الصدق واقعيا في عرض وقائع التاريخ وتصوير الأشخاص بما هو مطابق للواقع، أو موضوعيا في عرض نماذج لأصناف من البشر على حقيقتهم، أو أحداث إن لم تكن وقعت بالفعل، فإنها في قوة الأحداث الواقعة لاحتمال أن تقع في كل حين وذلك للاقتناع الحاصل بإمكان وجود تلك النماذج أو وقوع تلك الأحداث في كل عصر[٢].

من هنا يتضح أن لا مجال للأسطورة في القرآن لأنه كلمة ا ، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت آية ٤٢).

وأصل الأسطورة خرافة اخترعها خيال الإنسان لتفسير العلاقة التي تربطه بالوجود، وتعليل ما يجري فيه من بعض الظواهر التي عجز عقله عن معرفة أسبابها الحقيقية فانساق مع الأوهام، لذلك كان أكثر الأساطير مما يثير العجب والدهشة لأن الأحداث فيها لا تسير سيرها الطبيعي وفق سنن الكون ولكن تسيرها قوة جبارة خفية تصنع الخوارق، وتهيئ الظروف

(١) أباطيل الخصوم ص ٩٧ – ٩٨
(٢) سيكولوجية القصة ص ١٥٦

الملائمة لتمضي بها لا في المسالك الطبيعي، بل في المسالك الذي رسمه القـاص إلـى النهايـة. ويشبه الأساطير من بعض الوجوه ذلك القصص الديني الذي لم يقتصر فيه الرواة والمفـسرون على ما أوردته الكتب المقدسة، بل جعلوا على مر العـصور مرتعـاً لتـصوراتهم ومـسرحاً لتخيلاتهم، والخرافيان هم آفة الأخبار وآفة الأديان في كل زمان، والناس يروقهم أن يجعلوا من الاستثناء قاعدة ومن الشذوذ قانونا، وهنا الطامة التي تعصف بالدين والعلم معا، فكم من قصص ديني لو صح لما تماسك للكون نظام، ولا بقيت لقانون الـسببية حرمـة..!! [1] ولقـد وصـف المشركون من قبل القرآن بالأساطير ولكن القرآن الكريم رد على دعوة هؤلاء ليس إلا تكذيبا لما ادعوا ودحضا لما زعموا، فقال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (الفرقان آية ٤ – ٦).

ولا شك أن في ثبوت نسبة القرآن إلى ا ما ينفي عنه قطعا أن يكون في قصصه أساطير أو خيال غير حقيقي وا تعالى يقـول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ٦٢).

وإذا رحنا نبحث عن الأسطورة أو الخيال في قصة أصحاب الكهف لم نجد له أثراً، وإنما نجد هذه الآية القرآنية التي تنص نصا صريحا وحاسما على أن القصة من واقع التاريخ الحق لا صلة للأساطير بها، فمن المدهش حقا أن يصف القرآن الكريم هذه القصة بهذا الوصف الصريح الحاسم، ثم يظهر في البيئة العربية والإسلامية من يتجاهل ويتعالى عن هذه الحقيقة ويدعي مـا يدعيه هؤلاء المستشرقون، ويزعم أن القرآن لا يعيبه أن يشتمل على الأساطير، لأنه بذلك قعـد القواعد وسن السنن[2].

لقد اشتملت قصة أهل الكهف على أمور تدل دلالة قوية على عدم صـلتها بالأسـطورة،

---

(١) محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب ٣١٧، وسيكولوجية القصة ص ١٥٩ – ١٦٠

(٢) انظر الدكتور خلف ا : الفن القصصي في القرآن ص ١٧٧، وانظر الرد عليه في سيكولوجية القـصة ص ١٦١، وأباطيل الخصوم ص ١٤٦ – ١٥٨

كذلك التقديم القرآني الرائع الذي يسبقها في الآيات القرآنية: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (الكهف ٧ – ٩).

"فيقول ا عز وجل لمن تعجب من هذه القصة، ويستبعد عقله وقوعها، ويرى فيها لونا من الاعتماد على الأسطورة أو الخيال في الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم. يقول لهم: إن آية أصحاب الكهف والرقيم ليس بأغرب ولا اعجب من صنع ا في الأرض، وتزيينه لها ولأهلها بما أوجد فيها من أسباب الحياة، ومظاهر النعم، ثم يتحول ذلك كله ويتبدل إلى حال آخر فتصبح الأرض صعيدا جرزا، أرض بيضاء لا نبات فيها - بعد أن كانت خضراء معشبة - [1] ولا شجر ولا حيوان ولا ثمر "فلو أن عاقلاً تفكر في هذا الذي يطرأ على الأرض وتراه العيون فيها يوما بعد يوم، لما وجد في قصة أصحاب الكهف عجبا، ولما وصل به التعجب إلى اعتقاد أنه أمام قصة مخترعة ونبأ مفترى"[2] يتخذ من الأسطورة والخيال متكأ.

ولقد ذكر صاحب كتاب أباطيل الخصوم حول القصص القرآني[3] وجوهاً تؤكد بعد هذه القصة التام عن الأسطورة والخيال، وهي:

١- إن الحق سبحانه وتعالى لم يذكر أن أصحابها قد بعثوا من موت – وإن كان البعث من الموت ليس على ا بمستغرب – كما في قصة العزيز وحماره مثلاً، وإنما الذي أوضحته القصة أنهم بعثوا من نوم عميق طويل غشى عيونهم بعد أن سلبوا أسباب التنبيه والاستيقاظ، وضرب على آذانهم في الكهف سنين عددا.

وفضلا عن هذا فان ا أخبر بأنه أحاطهم بسائر أسباب الحفظ والصون، بحيث لم يتسرب إلى أجسادهم شيء من المتلفات أو المنبهات فكانت الشمس ﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ (الكهف آية ١٧).

---

(١) الكشاف: الزمخشري ج ٢ ص ٦٧٧
(٢) البيان القصصي، ص ١٠٩
(٣) عبد الجواد المحص، ص١٤٦ /١٥٨.

وكان الحق سبحانه يقلبهم ذات اليمين وذات الـشمال، وكلـبهم باسـط ذراعيـه يحرسهم بالوصيد – بالباب أو العتبة – حتى ليحسبهم الناظر إليهم أيقاظاُ وهم رقود، ولو اطلع عليهم لولى منهم فرارا ولملئ منه رعبا، إلى آخر ما ذكرته الآيات مـن أحـداث ووقائع تؤكد – بما لا يدع مجالا للشك – أنها تقوم على الوقائع، وترد على المستشرقين ومن نحا نحوهم مزاعمهم الكاذبة، من الواقع الفني الذي يعززه الإعلان والتنبيه.

٢- سياق الآيات بأسلوب الفني المعجز الذي يصور القصة في كل جزئية مـن جزئياتهـا وكأنه مرئي بالحس لا مذكور بالخبر وحده، فهي وإن تناولت موضوعا ماضيا إلا أنهـا ذكرت بهذا الأسلوب المعجز الفريد الذي يجعل السامع أو القارئ لهـا يقـرر دون أي التباس إن هذا واقع حقيقي وليس للخيال مدخل فيه، فهذا الاستهلال الرائـع فـي قولـه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ يجمع في لفظ واحدة بين الإيغال في الماضي والحضور في الزمن، لأن الابتداء بضمير الغائب (انهم) يـشدنا مـن أقـصى الحاضر إلى أقصى الماضي، ولكن اقتران هذا الضمير ب (أن) المؤكدة للجملـة مـن أقصى الماضي للحاضر، فإذا بنا نرى هؤلاء المتحدث عنهم في حالتهم التي هم عليهـا: ﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣) وبعد الاستهلال يعرض القـرآن القصة في مشاهد تتوالى كأنها ترى عيانا.

فقد اتبع القرآن الكريم في عرضها طريقة التلخيص الإجمالي أولاً ثم العرض التفـصيلي أخيراً، ففي الآيات الأولى يرسم خطوطها الرئيسية العريضة ويشير إلى أنها آية عجيبة من آيات ا ، لكنها مع غرابتها ليست بأعجب آيات ا ، ففي صفحات كونه الممتد من العجائب والغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف، وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يجيء التفصيل مبتدئا آن مـا سيقصه ا منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة في عددهم ومدة نومهم.وغيره من الحق اليقين في أحداثهم[1].

٣- أنها كانت مظهرا واقعيا لصوره من صور التحدي القرآني لأعداء سيدنا محمد (ﷺ) – حين طلب المشركون بتحريض من اليهود – أن يقص عليهم نبأ أهل الكهف وما انتهـى إليه أمرهم، ونبا ذي القرنين. فكان هذا الطلب بمثابة امتحان للنبي (ﷺ) ، وكان برهانـا

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب المجلد الرابع ص ٢٢٦٣

صادقا على انه نبي صادق لا يقص عليهم إلا ما يوحى إليه من ا عز وجل فقد قـص عليهم ما طلبوا بأدق التفاصيل واصدق بيان، ودل على تمام صدقه انه كان قد وعـدهم بأنه سيجيب غدا ثقة منه با الذي يعلمه بكل شيء، سيحقق وعده كمـا وعـد، لكـن الوحي أبطأ عليه حتى شق ذلك على النبي (ﷺ) وكذبته قريش، ثم نزل الـوحي بقـصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين وفي ثنايا القصة نبهه عز وجل بان الأمر يكون بمـشيئة ا بقولـــه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ (الكهف ٢٣ – ٢٤). فهذا قـول ا الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال!.

أما المسألة الأخيرة التي آثارها الكاتب في هذه القصة وهي معرفة معنى أصحاب الكهف والرقيم وشأن الكلب فيها، فلقد اتضح لنا مما سبق معنى أصحاب الكهف، واختلاف العلماء فـي معنى الرقيم، وقد رجح الطبري أن معنى الرقيم: لوح أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب، حيـث كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وجعل على باب كهفهم.

وعلل ذلك بمعنى أصل الكلمة الرقم وهو الكتابة، فيقول: "وإنما الرقيم فعيل أصله: مرقوم، ثم صرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح جريح، وللمقتول قتيل، يقال: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحية أرقم، لما فيه من الآثار والعرب تقول: عليك الرقمة ودع الضفة بمعنى: عليك برحمة الوادي حيث الماء ودع الضفة الجانبية، والضفتان جانبا الوادي واحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي ذهب به إلى هـذا، اعني به إلى رقمه الوادي[١]، أما عن شان الكلب والجبل، فالجبل بنجلوس هو الذي كـان فيـه الكهف ولم يسمه القرآن لنا، أما شان الكلب فهو كما ذكر القرآن الكريم باسط ذراعيـه بفنـاء كهفهم عند الباب يحفظ عليهم بابهم[٢].

ذو الكفل:

يقول (كولد تسيهر) صاحب المقال " ذو الكفل "في الدائرة دائرة المعارف:

" – ذو الكفل – شخص ذكره القرآن في (سورة الأنبياء الآية ٨٥، ص الآية ٤٨) في كلامه

(١) تفسير الطبري، سورة الكهف، الآية ٩ مجلد ٩/ ٥٦٢٢ طبعة دار الفكر.
(٢) نفس المرجع.

عن طائفة من الأنبياء يحيط بحقيقة أشخاصهم غموض وشك، وليس لدى مفسري المسلمين عن ذي الكفل إلا فكرة مبهمة أشد الإبهام، وهم في حيرة من أمرهم يجعلونه هذا الرجل أو ذاك، معظم الرجال الذين قالوا إنهم ذو الكفل نفسه ورد ذكرهم في التوراة مثل يوشع واليسع وزكريا أو حزقيل، وذو الكفل اسم النبي الذي يسمى باسمين مثله في ذلك مثل أربعة أنبياء آخرين.." [1] ثم أخذ الكاتب يذكر ما ذكر من روايات حول شخصية ذو الكفل وسبب تسميته بذلك، ومكان قبره واختلاف الروايات في ذلك[2] لمعرفة حقيقة شخصيته ذو الكفل نذكر الآيات التي ذكرته فان السياق هو الذي من خلاله ومن خلال ربطه بالآيات يمكن أن يتضح لنا شخصية ومن هو؟!..

يقول ا تعالى في سورة الأنبياء بعد قصة سيدنا أيوب: ﴿ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ وَأَدۡخَلۡنَـٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (الأنبياء ٨٥– ٨٦)، ويقول تعالى بعد قصة أيوب أيضاً في سورة ص: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَـٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَـٰرِ ۝ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَـٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَـٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ (ص: ٤٤ - ٤٨) فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، وهذا هو المشهور[3].

قال الحسن والأكثرون إنه من الأنبياء وهذا أولى الوجوه وقد ذكر الرازي[4] عدة وجوه وهي:

١– ذو الكفل يحتمل أن يكون لقبا وان يكون اسما، والأقرب أن يكون مفيدا، لأنه الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد فهو أولى من اللقب، إذا ثبت هذا فنقول: الكفل هو النصيب، والظاهر أن ا تعالى إنما سماه بذلك على سبيل التعظيم، فوجب أن يكون ذلك الكفل هو

---

(١) الدائرة ج ٩ / ص ٤٠٥
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠٦ – ٤٠٧
(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٢٧٥
(٤) التفسير الكبير: ج ٨ / ص ١٧٧

كفل الثواب فهو إنما سمي بذلك لان عمله وثواب عمله كـان ضـعف ثـواب غيـره، وضعف ثواب غيره ولقد كان في زمنه أنبياء على ما روي ومن ليس بنبـي لا يكـون أفضل من الأنبياء.

٢- إنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس والغرض ذكر الفضلاء من عباده ليتأسـى بهم وذلك يدل على نبوته.

٣- السورة مسماة بسورة الأنبياء فكل من ذكره ا تعالى فهو نبي.

وما ورد من روايات في ذي الكفل ما هي إلا أقوال لا دليل عليها والنص القرآني يكفي في هذا الموضوع لتسجيل صفة الصبر لذي الكفل[1]، فأي غموض وأي شك هـذا الذي يحيط بحقيقة هؤلاء الأنبياء الذين ذكرتهم الآيات الكريمة ؟!!. إنه الزعم والادعاء على كلام ا عن أشرف وأعظم خلق ا !

ذلك أن القرآن الكريم عندما يذكر قصص الأنبياء العظماء ويشير إليهم بـصفاتهم يذكرهم للعبرة والتأسي بهم إذ لا فائدة من ذكر من هم ومن أين هم.الخ من التفصيلات التي لا يعبأ بها القرآن الكريم ..

ولقد أثيرت أيضاً شبهة حول شخصية ذي القرنين، والخضر مع موسـى عليـه السلام وغيرها. ولقد تولى الرد عليها الرد الحاسم والمناقشة الواسـعة و الـرد عليهـا بالمنهج العلمي السديد وقد وفق في ذلك فجزاه ا عنا كل خير، صاحب كتاب أباطيـل الخصوم حول القصص القرآني[2] حيث أفرد له فصلاً خاصاً به.

أصحاب الأخدود:

أورد الكلام عن أصحاب الأخدود في دائرة المعارف كما بين اثنان من المستشرقين همـا (فنسنك و باريه) أما (فنسنك) فقد كان كلامه حول أصحاب الأخـدود كمـا أورده المفـسرون، وأصحاب السير من المسلمين، وكان أكثر اعتماده في ذلك على تفسير الطبري، وسيرة الثعلبي، ويظهر أن الباحث كان دقيقاً وموضوعياً في نقل المعلومات من مصادرها.

أما الكاتب باريه: فقد كان كلامه قريباً مما ذكره صاحبه – فنـسنك – وزاد عليـه عـدة ملاحظات يمكن تلخيصها ومناقشتها في عدة نقاط كما يلي:

(١) سيد قطب ج ٤ / ص ٢٣٩٣
(٢)عبد الجواد محمد المحص ص ٢٥١ – ٢٩٤

١- صعوبة تفسير كلمة الأخدود وإنه فيها أثر من الكلام العبري.

فيقول: "إن أصحاب الأخدود، مصطلح ورد في أوائل سورة البروج من القرآن يـصعب فهمه. "ثم يكرر ذلك في آخر فقرة من كلامه حول أصحاب الأخدود بقوله: "وتبقى بعد صـعوبة في تفسير كلمة الأخدود، ويذهب (موريك) إلى وجود أثر فيها للعبارة العبرية "كي هنوم " بمعنى النار، وإن كان يتحفظ في قوله هذا تحفظاً شديداً. ويقول بل: "قد يكون في مـصطلح أصـحاب الأخدود إشارة فرعية إلى قتلى قريش في بدر الذين ألقيت جثثهم في بئر" وكلا التفـسيرين فيـه نظر"[1].

٢- ذكر تاريخ القصة:

مع أن القرآن لم يتعرض لذكر شيء من هذا القبيل، فيقول: "ذلك الاضطهاد الذي جعل في سنة (٥٢٣ م) من حيث هو واقعة تاريخية مقررة. وترتبط هذه الآيات أحياناً بالقصة التي ترجع أخيراً إلى "أتون النار المتقدة" الواردة في سفر دانيال، الإصحاح الثالث، على أن هـذه الآيـات يجب أن تفهم بمعنى يتصل بعلم الآخرة كما استبان كرمة وبين هور دفنر على التدقيق، فـنحن نعرض لمشهد من مشاهد الحساب المأثور في القرآن".[2]

- المناقشة والرد:

أما قوله صعوبة في الفهم – فهذه العبارة تكررت من القوم خاصة في الآيات الواضـحة وضوح الشمس في ضحى النهار، فهم يحاولون إيهام السامع أو القارئ بأن في القـرآن الكـريم أموراً يصعب فهمها و أن آيات القرآن الكريم ليست واضحة، لأجل ذلك يقومـون بتوضـيحها وتفسيرها بربطها بالكلمات العبرية الواردة في كتبهم، وبذلك يثبتون أن ما في أيديهم من الكتـب هي أوضح وأيسر وأسهل من القرآن الكريم وان القرآن الكريم اعتمد في آياته عليهـا. وهـذه مزاعم وادعاءات باطلة سبق مناقشتها والرد عليها، "وا من ورائهم محيط، بـل هـو قـران مجيد، في لوح محفوظ.

فإذا رحنا نبحث في كتب التفاسير ومعاجم اللغة عن معنى هذا المصطلح لم نجد مفـسرا ولا لغوياً صعب عليه تفسيره وتوضيح معناه، ولكن القوم - عميت بصائرهم قبـل أن تعمـى أبصارهم-.

---

(١) الدائرة ج ٣ / ص ٤٥٢ – ٤٥٣

(٢) الدائرة ج ٣ / ص ٤٥٢.

فالأخدود: جمع أخدود، من خد الأرض خداً: أي حفرها، يقال: خد السيل الأرض وفي الأرض، وخد فلان أخدوداً، وخد جسمه بنابه: أي شقه[1]، والخد في الأرض وهو الشق[2]. العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، ومنه الخد لمجاري الدموع، والمخدة لأن الخد يوضع عليها، ويقال: تخدد وجه الرجل إذا صارت فيه أخاديد من جراح[3].

فهذه الكلمة كما هو ملاحظ لا يوجد فيها أثر من العبرية كما يدعي المستشرق، ولا يوجد فيها إشارة إلى قتلى بدر، والزمن بين تلك القصة وغزوة بدر يستحيل عقلا أن يكون فيها إشارة لذلك، ولو كان في هذين التفسيرين أدنى شيء من الصحة لما تحفظ صاحبهما هذا التحفظ - كما يقول المستشرق – في قولهما، وهذين التفسيرين ليس فيهما نظر – على حد تعبير الكاتب – فحسب إنما ليس لهما أساس من الصحة، ولما كان فيهما نظر لماذا تورِدهما في كتابتك في هذه الدائرة؟!

٢- أما ذكره لتاريخ القصة وربطه القصة بقصة (أتون النار المتقدة) الواردة في سفر دانيال فهذا كلام لا يصح، فكيف لنا أن نربط ما هو حق و متواتر بما هو محرف ولا سند له.

وليس (لكرمة وهوروفنز) وغيرهما من المستشرقين أن يوجب أو يقرر تفسيراً لآية من آيات كتاب ا ، من أنت حتى توجب ذلك التفسير أو غيره، أهل التفسير و أهل القرآن هم أولى الناس بذلك وهم الذين يبينون ويوضحون مراد ا من خلال ربط الآيات بعضها ببعض أولاً وقبل كل شيء، ولم يقل أحد منهم - اعني آهل التفسير – بأن هذه الآيات يجب أن تفهم بمعنى يتصل بعلم الآخرة، أو أننا نعرض لمشهد من مشاهد الحساب المأثور في القرآن الكريم كما يزعم الكاتب. ثم إن سياق الآيات ينفي مثل هذا التفسير ومشاهد يوم القيامة قد عرضت في أكثر من موطن في آيات وسور القرآن الكريم[4]

---

(١) المعجم الوسيط ج١ / ص ٢١٨.
(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير باب تفسير سورة البروج والكشاف: الزمخشري ج٤ / ص ٧١٧ .
(٣) انظر تفسير القرطبي، سورة البروج.
(٤) انظر مثلا سورة هود، وسورة التكوير، وأواخر سورة الزمر

قصة أصحاب الرس:

يقول (فنسنك) كاتب هذه المادة في دائرة المعارف:

" - أصحاب الرس – أي أصحاب الأخدود أو البئر، ورد ذكرهم مرتين في القرآن في سورة الفرقان الآية ٤٠[١]، وسورة ق الآية مع عاد وثمود وغيرهم من المشركين، ولا يعرف المفسرون عن أصحاب الرس شيئا محققاً، ولهذا تراهم يختلفون اختلافا عظيما فيما يذكرونه عنهم، وأخبارهم قائمة على جميع الصنوف من تهاويل الخيال، ويرى البعض أن الرس اسم مكان كما ذهب ياقوت، ويزعم آخرون أن أصحاب الرس هم بقايا ثمود الذين أهلكهم الله لأنهم ألقوا بينهم حنظلة في رس أي في بئر، ويقال أيضا أن الجبل الذي تسكنه العنقاء يقع في أرضهم، أما الطبري فيذهب إلى أن أصحاب الرس هم أصحاب الأخدود، وهو لا يعرف شيئاً غن تاريخهم، ولسنا أكثر منه علما بهذا الموضوع "[٢]

- كل ما ورد من أخبار وآثار عن أصحاب الرس نتركها لأنه لا دليل على شيء منها، ثم إن القرآن الكريم لم يفصل في قصتهم ولا اسم نبيهم. فالله أعلم بهم.

وقولهم "يزعم آخرون أن أصحاب الرس هم بقايا ثمود" هذا الزعم منك إذ أنك زعمت انهم يزعموا وإنما هم نقلوا هذا القول مثل بقية الأقوال التي ذكرت فلماذا الزعم كان في هذا القول ؟!. وهذا القول ذكره الطبري وغيره في تفسيره فهل يمكن لمثل الطبري أن يزعم ؟!. فهذا هو الزعم بعينه...

(١) رقم الآية في المصحف العثماني " ٣٨ " وليس "٤٠".
(٢) الدائرة ج٣/ ص٤٥٤-٤٥٥.

المبحث الثاني

منهج البحث في التفسير في دائرة المعارف الإسلامية

يأتي هذا المبحث لبيان كيفية دراسة المستشرقين لتفسير القرآن الكريم وعلى أي جهة أداروها وما مناهجهم فيها ؟ لعله من المفيد هنا أن نذكر هذه المسألة نقلاً عن لسان أهلها حتى لا يقال أننا نستنتج ذلك استنتاجا فقط، وفيما يظهر من كتابات متعددة، فإن آرثر جفري – المستشرق الذي كان له نصيب لا باس به في الكتابة في دائرة المعارف – قد لخص أعمال المستشرقين تلخيصا أرى من المفيد ذكره حتى يعلم لكل قارئ - وخاصة المسلم - من أين يأتي هؤلاء بما يأتون به من تخاليط وادعاءات في تفسير آيات القرآن الكريم.

لقد وضع آرثر جفري مقدمة لكتاب المصاحف لابن أبي داود أفصح فيها عن مناهج المستشرقين في البحث، فهو يضرب مثلا في طرائق المستشرقين في بحث ما يتعلق بالتوراة والإنجيل ليدرج بهذه الطريقة إلى دراسة القرآن على ذاك المنهج الفاسد.

قال: "وأما أهل التنقيب (يقصد بهم المستشرقين) فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها، ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان منها مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال، معتبرين المتن دون الإسناد يجتهدون في إقامة نص التوراة والإنجيل كما أقيم نص حوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف. وبعد أن بين الأطوار التي مر بها القرآن حسبما يرى المستشرقون، قال: إن نتيجة هذه الأبحاث لا يتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولا يهمنا في بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا وإنما المهم هو بيان ما وصلنا إليه بعد التحري والتنقيب[١]

وإذا كان هذا هو منهاجهم فلا عجب أن تجد بعد البحث والتفتيش أن لليهود دوراً لا خفاء فيه في ثنايا هذا المنهج، بل إن اليهود ضالعون في إذكاء نار الحقد والبغضاء بين شعوب العالم والمسلمين بشتى الوسائل والأساليب التي من أهمها وأخطرها أعمال البحث العلمي !!! ولقد وجد اليهود بغيتهم في هذا الجانب بما لا خفاء فيه على ذي عينين[٢] ولقد استخدم المستشرقون الأوائل على وجه العموم خطة علمية في تناولهم للإسلام تهدف إلى تشويه صورته والتشكيك في مصداقيته، فاستهدفوا أولاً القرآن الكريم باعتباره قاعدة الإسلام الكبرى الذي اجتمع عليه

(١) مقدمة تحقيق كتاب المصاحف لابن داود ص١٠

(٢) عمر إبراهيم: آراء المستشرقين حول القرآن ج١ ص ٦٩ وما بعدها

العرب وأحبوه ودانوا بحبه وعكفوا على تلاوته، وحفظه وتدبره ولأنه الكتاب الذي أحبه العرب ممن دخلوا في الإسلام وتعلموا لغة القرآن ومهروا فيها وصاروا أئمة في علوم القرآن وأعلاماً في العلوم الإنسانية..

اتجه المستشرقون أولاً إلى ترجمة القرآن الكريم بهدف تحريف كلمة، وتصحيف معانيه بحيث تخدم أغراضهم في الحط من الإسلام، ولهذا استخدموا هذه الترجمات بطرق مغرضة للوصول إلى أهداف متعددة وملتوية بعيدة عن النص في لغته وفحواه، ومن هذه الطرق:

١- انتقادهم للأحاديث النبوية الصحيحة.

٢- اعتمادهم على الكثير من مادة السيرة النبوية والمغازي غير الصحيحة.

٣- اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والحكايات التاريخية الملفقة والروايات المتعارضة في ظاهرها دون بذل أي جهد للتوفيق بينها في إطار الروايات الصحيحة والمسلمات الإسلامية ونحو ذلك.

وقد قادتهم هذه الخطة المسبقة إلى تقرير نتائج غير صحيحة علمياً أحياناً كثيرة غير مقبولة عقليا، وليس لها أدنى ارتباط بمقدماتها، وهذا ما كان واضحا جليا في هذه الدراسة حيث انصبت آرائهم وطعونهم ضد القرآن الكريم وتفسيره.

ولقد كان هذا الطعن في القرآن الكريم منذ صدور أول ترجمة له في الغرب، وظهور الكتابات والدراسات المختلفة المعنية بالقرآن الكريم من قبل المستشرقين، وبخاصة ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية – والتي كانت مدار بحثنا – باللغة الإنجليزية الصادرة عن دار ليدن للنشر ليدن في (١٩١٣ – ١٩٣٨) والطبعة الجديدة الصادرة عن الدار نفسها مع دار لوزاك للنشر ليدن عام ١٩٦٠ مباشرة أو غير مباشرة من تأليفهم، وكذلك المصادر التي اعتمدت عليها بطريقة القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي:[(١)]

وفي هذا الجانب يقول أحد الباحثين: والباحث يرى أن الجريمة إذا تعددت بصورة واحدة في مواقف يترتب عليها منحنى تاريخي فان هذه الجرائم وراءها عصابة منظمة لها أهداف بعيدة وهي تتجه نحو هذه الأهداف بصبر عجيب، وتلك حقيقة ذكرها العلماء، فقالوا : إن في كل التغييرات الفكرية الكبرى عملاً يهودياً سواء أكان ظاهرا واضحا أم كان خفيا سرياً[(٢)].

(١) محمد أبو ليله ص ٤٠١
(٢) أحمد زكي: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ص ٨٦ نقلا عن مصادر أخرى

٤- لي أعناق النص من غير عودة إلى اللغة والبيان وغيرهما من هذا التفسير.

٥- اتباع المنهج العقلي البعيد عن مقومات التفسير فما وافق العقل هو الصحيح وغيره فاسد.

وهذا ما كان واضحاً - من خلال هذه الدراسة - في تفسير الآيات والقصص القرآني ويمكن توضيح هذا المنهج – أعني به منهج البحث في التفسير في الدائرة – من خلال هذه الدراسة بنقاط كالتالي:

١- اعتمادهم التوراة والإنجيل المرجع الأساسي في البحث فالصحيح ما وافق التوراة والإنجيل وما خالفهما فهو خطا يرمى به عرض الحائط حتى ولو كان قرآنا يتلى أو حديثا صحيحا.

٢- اقتصارهم في تفسير الآيات القرآنية غالبا على تفسير الطبري وخاصة في الآيات التي يذكر فيها روايات إسرائيلية، حيث تذكر الروايات أو التفسير دون تحقيق أو تعليق الطبري نفسه على هذه الرواية أو ذاك التفسير أو ذكر أولى الأقوال عند الطبري أو الرأي الراجح عند غيره.

٣- استخدام أسلوب التعميم أثناء الكتابة، حيث لاحظت الباحثة إنهم يكتبون عن الموضوع أو تفسير الآيات بشكل عام ولا يوضحون الهدف والغاية من الآية القرآنية، بل وينتقلون بالقارئ من فكرة إلى فكرة دون الإلمام والإحاطة بجميع جوانبها وإشباعها بحثا، وبذلك يحاولون تشتيت ذهن القارئ بين أفكار متشعبة المواضيع دون الإشارة إلى المعنى الذي أرادته الآيات القرآنية وخلال هذه الأفكار يدسون السم في الدسم..

٤- استخدام اسلوب التضعيف والتشكيك في معظم نقولاتهم كقولهم، لعل واحتمال ويجوز. مما يدل على إعطائهم معلومات هم أنفسهم غير متأكدين من صحتها.

٥- قصور أيديهم عن أن يقدموا بحثاً دقيقاً للقراء فلعلهم اقتصروا في مواضيع مهمة على فقرة أو فقرتين، فلم يعطوا بعض المواضيع حقها من الدراسة.

٦- التعصب لديانتهم أو لعدم ديانتهم، فمهما كانت ديانتهم على خطأ فهي صحيحة عندهم وغيرها باطل، رغم أنهم يدعون الموضوعية والصدق في دراستهم.

٧. افتقارهم لمنهج النقد القائم على القواعد الصحيحة التي أجمع عليها علماء الحديث دراية ورواية.

٨. قصورهم عن فهم اللغة والإحاطة بألفاظها ونظمها وشواهدها أفقدهم القدرة على إدراك مرامي القرآن الكريم وأحكامه وحكمه.

٩- انحطاط فكرة مصادرهم المنحرفة وإسقاطهم ذلك على القرآن الكريم وما جاء فيه مـن قصص وهذا عين المغالطة بمقاييس النقد والموضوعية.

الخاتمة

أحمد الله على أن أعانني على إكمال هذه الرسالة وأشكره على توفيقه لي في إخراجها على هذه الصورة وقد حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن أعطي هذا الموضوع الهام حقه ومستحقه، ويعلم الله تعالى كم بذلت فيه من جهد عظيم لإتمامه وجمع جوانبه بكاملها، فلم أعتبره مجرد رسالة لأنال من خلالها شهادة جامعية، وإنما كان قصدي على الدوام إرضاء الله تعالى راجيه أن تكون هذه الرسالة مساهمة مني في خدمة العلم الشرعي الذي وضع أسسه الأولى سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله (ﷺ).

وحقيق بي أن أقول أن هذا الذي كتبته ودرسته ونقدته يعبر عن وجهة نظري التي أرجو أن أكون قد سجلتها بأمانة وموضوعية وتطلعت نفسي إلى الوفاء بجوانب هذا الموضوع دفاعاً عن عقيدتي ورسالتي الذي أطمع أن يكون عملي هذا حجة لي لا حجة علي راجياً منه تعالى المثوبة على ما وفقت إليه وغفران ما قصرت عنه.

وأما أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من الرسالة فقد جاءت على النحو التالي:

أولاً: إن الاستشراق بدأ في وقت مبكر وترعرع في القرن التاسع عشر وإن بواعثه العداء والصراع بين الفرنجة والمسلمين وبذوره قديمة.

ثانياً: دراسة المستشرقين تنبعث من الأهداف والدوافع التبشيرية والإستعمارية والتجارية والعلمية والسياسية.

ثالثاً: ضرورة دراسة مصنفات المستشرقين ومؤلفاتهم دراسة علمية موضوعية مع بيان أهدافهم وغاياتهم.

رابعا: ما يقلق افتقار دائرة المعارف لكثير من العلوم والمعارف المتعلقة بالتفسير وعلومه ومصادره.

خامساً: نقد كثير من مغالطات الدائرة حول تعريف كثير من المصطلحات القرآنية وتصويبها في ضوء الأصول المعتمدة في التفسير.

سادسا: رد المطاعن التي وجهتها الدائرة في الموضوعات المتعلقة بـ: سورة الفاتحة، الإسراء، والمسد، والإخلاص، والتوبة، وتصحيح الأخطاء الواردة فيها.

سابعاً: رد مطاعن الدائرة وإيراد ما فيها من أخطاء حول الآيات التي تخص العقيدة في

كلامها على ألفاظ: ا ، جبريل، الجنة، الجن، التوراة.

ثامناً: نقد ما قالته الدائرة حول آيات وأحكام ما يخص الصوم والصلاة والجزية..

تاسعاً: رد مطاعن الدائرة ومحاولة إيغالها في إدخال السموم في القصص القرآني وتصويب المفاهيم المغلوطة حول القصة القرآنية تحقيقاً وغايةً.

عاشراً: بيان منهج المستشرقين وطرفهم في التفسير والحكم عليها في ضـوء المنهجيـة القائمة على الأصول المعتمدة في التفسير.

الحادي عشر: يحوي كلام المستشرقين إيجابيات وان كان في معظمه طعناً وسلبيات، أمـا الإيجابيات، فتتمثل فيما يقدمونه من معلومات منصفة، وأما السلبيات فتتمثل فيما يقدمونه من مغالطات وأخطاء مظللة بالنوايا والمقاصد السيئة التي تنال مـن الإسـلام وكتابـه ورسوله.

الحمد الذي تتم به الصالحات...

وآخر دعواهم أن الحمد رب العالمين...

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم:

- – آيسيسكو – **القران الكريم: دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسـلامية،** منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
- ابراهيم زكي خورشيد و احمد الشنتناوي ود. عبد الحميد يونس، **موجز دائـرة المعـارف الاسلامية:** تحرير: م. ت هوتسما، و. أرنولد ر. باست، ر. هارتمان، الاجزاء الاولى مـن (أ) الى (ح) الاجزاء من (خ) الى (ى) ترجمة نخبه مـن اسـاتذة الجامعـات المـصري والعربية، طبعة بريل، مركز الشارقة للابداع الفكري.
- ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، د. عبد الحميد يونس، **دائرة المعـارف الإسـلامية.** أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية (هوتسما، وفنسنك وتحسب، وهفنكـك، وبفـي بروفنسال، وشادة وباسيه وهارتمان وأرنولد ولويس ويلاوشاخت، النسمة العربية، ط١،ط٢، مطبعة الشعب بالقاهرة، ١٩٦٩م -١٩٩٣م.
- ابراهيم محمد عوض النجار، **تفسير تنوير المقباس المنسوب الى ابـن عبـاس (توثيـق ودراسة)،** رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة:.
- ابراهيم مصطفى ورفاقه، **المعجم الوسيط،** دار إحياء التراث العربـي، المكتبـة العلميـة، طهران.
- ابن الاثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني، **الكامل في التاريخ،** ط١، (تحقيق: خليل مـأمون شيما) دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير:** دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- ابن فارس، ابي الحسن أحمد (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة،** ط١، الـدار الاسـلامية للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ابن قيم الجوزية، **زاد امعاد في هدي خير العباد،** ط١، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٩٠٦م.
- ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل، **تفسير ابن كثير:** ط٢، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- ابن كثير، ابي الفداء، محمد بن اسماعيل، **البدايـة والنهايـة،** دار الكتـب العلميـة، ط٤، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ابن كثير، **تاريخ الاسلام،** ط١، (تحقيق عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- ابن كثير، **قصص الانبياء،** ط٨، (تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء)، دار القلـم، بيـروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، **لـسان العـرب:** مؤسـسة التـاريخ العربي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣ - ١٩٩٣م.

- ابن هشام، محمد عبد الملك، **السيرة النبوية سيرة ابن هشام** ط١، (تحقيق وتعليق الـشيخ عادل احمد عبد الوجود و الشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكات، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- أحمد رضا، **متن اللغة موسوعة لغوية حديثة،** مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.

- أحمد غراب، **رؤية إسلامية للاستشراق: ط٢،** المنتـدى الإسـلامي للنـشر والطباعـة، ١٤١١هـ.

- آرثر جفري، **مقدمتان في علوم القران وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابـن عطيـة:** مكتة الخانجي القاهرة، ١٩٥٤.

- اسماعيل أحمد عمايرة، **بحوث في الاستشراق واللغة :** ط٢، دار وائل للنـشر والتوزيـع، عمان، ٢٠٠٣.

- الأصفهاني، الراغب (ت ٤٢٥هـ)، **مفردات ألفاظ القـران،** ط١، (تحقيق: صفون عـدنان داوودي)، دار القلم دمشق والدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،** ط١، (تحقيق محمد احمد الآمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار إحياء التراث العربـي، بيـروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل **صحيح البخاري**: دار التب العلمية، بيروت.

- البغوي، الحسين بن مسعود ، **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل،** ط٤، دار طيبة للنشر

والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- البقاعي، برهان الدين ابراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،** ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- البهي، محمد، **الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي:** ط٨، مكتبة وهبه القاهرة، ١٩٥٧.

- البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،** ط٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣.

- البوطي، محمد سعيد، **فقه السيرة،** ط٨، دار الفكر بيروت، ١٩٨٠م.

- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي،** ط٢، الحلبي مصر، ١٣٩٥م.

- التهامي نقرة، **سيكلوجية القصة في القران الكريم،** الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧١م.

- الثعالبي، احمد بن محمد، **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس،** ط١، (تحقيق محمد سيد)، دار الفجر للتراث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن،** ط١، (تحقيق ابي محمد الغماري الادريسي الحسيني)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- الجصاص، احمد بن علي الرازي، **أحكام القرآن:** المطبعة البهية المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.

- الحافظ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** ط٢، دار البيان للتراث، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

- حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، قصص القران، ط١، مكتبة الصفا، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- خالد سيد علي، **الإسراء والمعراج معجزة وحقائق أسرار وفوائد:** ط١، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون،** دار الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت.

- الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم،** ط، مكتبة الاداب، القاهرة، دار ابن حزم، بيروت٢٠٠٥،.

- رحمة ا بن خليل الهندي، **مختصر كتاب إظهار الحق،** ط١، (تحقيق د. محمد ملكـاوي)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

- الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن،** ط٢، (تحقيق بـديع الـسيد اللحام)، دار قتيبة للنشر، دمشق.

- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ط١، دار الكتب العلمية، بيـروت، ١٤٢٢ هــ - ٢٠٠١م.

- الزمخشري، محمود بن عمر، **تفسير الكشاف،** ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢ م.

- سعيد حوى، **الاساس في التفسير:** ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

- السيد عبد المقصود عسكر، **القصص القرآني إقناع وإبداع،** ط١، دار البشر للثقافة والعلوم، طنطا، ٢٠٠٠.

- سيد قطب، **في ظلال القران،** ط٣٤دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م،.

- السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن:** ط١ (تحقيق وتعليـق: عـصام فارس خرج أحاديثه محمد أبو صعيليك)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

- السيوطي، جلال الدين، **لباب النقول في اسباب النزول،** ط١، المكتبة العصرية للطباعـة، بيروت، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان:** عالم الكتب، بيروت.

- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القران،** دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

- صلاح الخالدي، **القصص القراني عرض وقائع وتحليل أحداث،** ط٩، دار القلـم دمـشق، الدار الشاميه، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- صلاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**.

- الطبري، محمد ابن جرير، **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الامم والملـوك :** ط٣، مؤسـسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القـرآن،** ط١، دار المعرفـة، بيـروت،

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- عباس محمود العقاد، **اللغة الشاعرة،** مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة.
- عبد الجواد محمد المحص، **أباطيل الخصوم حول القصص القرآني** (عرض ومناقشة).
- عبد الحق بن عطية الاندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيـز،** ط١، (تحقيـق وتعليق: عبد ا ابراهيم الانصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم)، الدوحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- عبد العزيز تمام، **الغزو الفكري أبعاده ومواجهته،** رقم ايداع بدار الكتب المصرية ٩٥٧٧ / ١٩٩٠م.
- عبد العظيم المصطفي، **الاسلام في مواجهة الاستشراق العـالمي،** ط١، ١٤٠٧هـ ـ، دار الوفاء للطباعة والنشر١٩٨٧م.
- عبد ا العمراني، **النيام السبعة وأهل الكهف:** مقال في مجلة العالم العربي، الكويت، العدد ٢١٦.
- عفيف عبد الفتاح طبارة، **مع الانبياء في القران الكريم، قصص ودروس وعبر من حياتهم** : ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١ .
- العقاد، عباس محمود، الانسان في القرآن، بيروت، ١٩٦٩م.
- علي العيسلي العاملي، **الاسراء والمعراج نظرة عامة دراسة وتحليل،** ط٢، ١٤١٨هـ ـ - ١٩٨٨م.
- عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القران وتفسيره،** دار طيبة، ١٩٩٢م.
- عمر عودة الخطيب، **لمحات في الثقافة الاسلامية،** ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨١.
- الفراء، معاني القرآن، (تحقيق: احمد يوسف نجاتي، محمد النجار)، دار الكتب المـصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- فضل حسن عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته،** ط١مكتبة دنـديس، عمـان، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ م.
- فضل حسن عباس، **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية،** نقد مطاعن ورد شبهات، ط١، دار الفتح عمان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

- فضل عباس، **الإسراء والمعراج دروس ونفحات،** ط١، دار الفرقـان للنـشر والتوزيـع، ١٤٢١هـ، -٢٠٠٠م.
- فضل عباس، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته،** دار الفرقان للنشر.
- فضل، حسن عباس، **إتقان البرهان في علوم القـران،** ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيـع، ١٩٩٧م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **أحكام القـران،** دار الكتـب المـصرية، القـاهرة، ١٩٣٧م.
- القرطبي، محمد بن احمد، **الجامع لأحكام القران،** ط، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الماتريدي، أبي منصور، **تأويلات أهل السنة،** ط١، (تحقيق فاطمـة يوسـف الخيمـي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.
- المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم،** دار الارقم، بيروت.
- محمد أمين حسين بني عامر، **المستشرقون والقـران الكـريم،** ط١، دار الأمـل للنـشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- محمد بن احمد كنعان، **قصص الانبياء وأخبار الماضين، خلاصة تاريخ ابـن كثيـر،** ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مؤسسة المعارف، بيروت.
- محمد بن يوسف ابي حيان الاندلسي، **البحر المحيط في التفسير،** ط١، دار الفكر للطباعـة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث ترتيب الـسور حـسب النـزول،** ط٢، دار الغـرب الاسلامي، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم،** المكتبـة الاسـلامية، ٨٢. استانبول، ١٩٨٢.
- محمد محمد أبو ليلة، **القران الكريم من المنظور الإستشراقي، دراسة نقدية تحليلية،** ط١، دار النشر للجامعات بمصر، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
- المراغي، احمد مصطفى، **تفسير المراغي،** ط٢، دار احياء التـراث العربـي، بيـروت،

.١٩٨٥

- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت٣١٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر،** ط١، دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٣٨٥ - ١٩٦٥م.

- المسعودي، علي بن الحسين، **التنبيه والاشراف،** ط١، (تحقيق عبد ا اسماعيل الصاوي)، دار الصاوي للطباعة والنشر القاهره، ١٩٣٨م.

- مسلم، بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم،** ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار الكتب الفكرية للطباعة والنشر.

- مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم،** ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المكتب الاسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع.

- المقريزي، احمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك،** ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٨١هـ - ١٩٩٧م.

- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن،** دار غريب، القاهرة، ١٩٨١م.

- المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، **مناهج المستشرقين في الدراسات الاسلامية:** مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- ناصر القفازي، ناصر العقل، **الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة،** دار الصميعي للنشر والتوزيع.

- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، **الإسلام والمستشرقون،** المجمع الإسلامي للنشر والتوزيع، الهند.

- الندوي، ابو الحسن علي الحسيني، **الاسلام والمستشرقون،** من مطبوعات المجمع الاسلامي العلمي رقم ١٥٦، مطبعة ندوة العلماء (الهند).

- النسائي، القاضي احمد بن شعيب بن علي، **سنن النسائي،** ط١، الحلبي مصر، ١٣٨٣.

- نور الدين عتر، **محاضرات في علوم القرآن،** دمشق، جامعة دمشق، ١٩٨٣م.

- النووي، **تهذيب الأسماء واللغات،** ط١، دار الكتب العلمية بيروت.

- الواحدي، علي بن أحمد، **اسباب النزول،** (ت ٤٦٨) ط١، (تحقيق أيمن صالح شعبان)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

EXEGESIS AND ITS SUBJECTS IN THE ENCYCLOPADEDIA OF ISLAM

(A STUDY AND CRITISIZM)

By

Yosra Al- Yabroudi

Supervisor

Dr. Mustafa Al- Mashnie, Prof.

ABSTRACT

Thanks to the almighty Allah whom by this grace all good deeds are done, and whom His welfare is distributed to all creatures, either human beings or angels, on earth or in the sky.

By grace of God I have accomplished my work, with which I don't claim to be perfect or complete, but it is a complete description of shortage, nevertheless in this paper I would like to mention what I have summarize in the thesis.

I have given some hints about the meaning of explanation and interpretation in the circle, the difference between them, and also stated the mistakes there in, then diverted to the detailed subjects of the subjective interpretion, and Holly Quran stories, and then discussed the circle by clarifying it in some soras.

I have reached to an important information stated in its chapter of this theisi, and pen pointed them to the reader that this circle has mistakes in collecting information and searching of the text, also it shows the extent of their chauvinism to their religion, so that they criticize the reality of their books against what correction has been made by honourable Messenger.

It is essential for every body whom he wants to read in such circle to be aware of the clear mistakes, susbicion and chauvinism mentioned there in, and to be clever enough to distringuish between the good and the bad.

This is what I wanted convey to the reader of the theisi and hope that almighty Allah has enabled me to have offered something to this religion which can be kept and not forgotten. Thanks to Allah the all almighty